15em Année No. 730

Lundi — 30 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٧٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٦٦ — ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

الجامعة الإسلامية هى الغاية

نشأت جامعة الدول العربية ، وكان نشوؤها ضرورياً وإن أشار به (إيدن) . وقامت دولة الباكستان الإسلامية ، وكان قيامها طبيعياً وإن سعى له (مونتباتن) . تلك لأن العروبة فى يقظة ، وهذه لأن الإسلام فى انبعاث . ويقظة العروبة هبّة من الروح العالمى الذى دفع الأقوياء إلى الحرب ، والضعفاء إلى التعاون ، والأشتات إلى الوحدة ؛ وانبعاث الإسلام أثر لتناقض المذاهب وتعارض الشرائع وافتقاد الإنسانية لذلك النظام الإلهى الذى يسدد خطاها ويحفظ عليها قواها . وما كان فضل إنجلترا فى هذين الحدثين العظيمين إلا فضل القابلة : سهلت الولادة ولكنها لم تخلق الوليد . وسيحذو المسلمون فى الصين حذو المسلمين فى الهند وإندونسيا ، فتنشأ الدولة الإسلامية الثانية فى القوة والعدد ؛ ثم تنكفئ تركيا إلى الشرق ، ويرجع ساستها إلى الإسلام ، فيكون منها لكتلة الدول المحمدية رَوْح ومدد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، إذ يرون كلمته هى العليا ، وعقدته هى الوثقى ، وحزبه هو الغالب .

فالجامعة الإسلامية ، أو البانسلامزم كما يسميها الغربيون ، هى الغاية المحتومة التى ستتوافى عندها أمم الإسلام فى يوم قريب أو بعيد . ذلك لأنها النظام السياسى الذى وضعه الله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ، ثم شرع له الحج مؤتمراً سنوياً ليقوى ؛ وجعل له الخلافة رباطاً أبدياً ليبقى . وهذا النظام الإلهى أجدر النظم بكرامة الإنسان ، لأنه يقوم على الإخاء فى الروح ، والمساواة فى الحق ، والتعاون على الخير ، فلا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين طبقة وطبقة .

وظلت الجامعة الإسلامية ، فى ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج ، قوية شاملة حتى خلافة المتوكل ؛ ثم وهى السمط فانفرط العقد ، واضطرب اللسان فتفرقت الكلمة . فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يرمموا الخيط ولكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب ، فبقى المسلمون عباديد لا ينظمهم سلك ولا تؤلف بينهم وحدة . ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، فتعاوت على جسدها الواهن المنحل ذئاب الغرب ، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذياداً عن ملكه ، فهرّوا هرير الكلاب المذعورة ، وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هى التعصب وسفك الدماء ، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع . وكان الاستعمار يومئذ قد توقح وفَجر ، فنشأت العصبية الوطنية فى الأقطار الإسلامية لدرء خطره ، أو تخفيف ضرره ؛ والوطنية لا تعارض الجامعة ، ولكنها تفارقها فى الطريق لتلاقيها عند الغاية .

إن أوربا التى مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب ، سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية ؛ لأنها وحدها تملك غرس الوئام فى النفوس ، وإقرار السلام فى العالم . إنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل فى خير مكان من الأرض ، وتشمل مئات الملايين من الناس ، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد ، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها فى الصفحات العظمى من التاريخ ، فمن المحال أن تظل نهباً مقسماً بين فرنسا الحمقاء ، وإنجلترة المتطفلة ، وهولندة الأنثى !

احمد حسن الزيات

ورأيت صخوراً عاتية موحشة اجتزناها ، فسايرنا الساحل حيناً ، ثم عبرنا الخليج ، فسايرنا أكثر الوقت ساحل إيران المشرف على المحيط الهندي ، وهو ساحل ضيق تشرف عليه جبال عالية تفصل بينه وبين سائر الأرض . ولهذا لم يألف الإيرانيون البحر ، ولا مرنوا على ركوبه ، فلم يكونوا في تاريخهم من أمم البحار ، المولعين بالأسفار فيها .

والساحل متشابه ، لم أتبين من معالمه إلا آثار سيول أو أنهار متمعجة تسيل من الجبال إلى البحر .

وما زلنا بين تأمل في الأرض التي نطير فوقها ، والجبال التي نحاذيها ونساميها ونعلوها ، والبحر الذي نسايره حتى ستر الليل المشاهد إلا أشباحاً خفية . فكان مسرح الطرف بين الظلام الذي نعلوه ، وبصيص الكواكب التي تعلونا .

ولاحت كرتشي في ظلام الليل في أضوائها منتشرة على البر والبحر ، فكانت منظراً عجيباً مؤنساً في هذا السفر الموحش ، وبشرى بالوصول منيرة في العين والقلب ، ورأيت على مقربة من الساحل جبلا في البحر عالياً عليه منارات ومصابيح زادت في جلال المرأى وجماله .

ودوّمت الطائرة كثيراً حتى توهمت أنها لا تهتدي إلى مهبطها ، ثم أسفّت حتى لمست الأرض وزافت (1) حتى استقرت عليها .

ولله ما أجمل أن يحس الراكب وقع عجلاتها على الأرض بعد أن انقطعت بينه وبين الأرض الأسباب ، وتداولته الرياح ساعات طويلة . وكانت الساعة ستاً بتوقيت البصرة ، وثمانياً ونصفاً بتوقيت الهند .

— ٣ —

استرحنا ليلتنا في فندق قريب من المطار ، وغدونا إلى الطائرة فاستقلت والساعة ثمان وربع تؤم بنا دهلي ، فطرنا فوق صحراء السند ، وأرض أخرى معمورة لم نر فيها إلا قرى صغيرة يكاد البصر لا يدركها .

وقد وجدت في مذكرتي هذه الجملة :

« نحن الآن على بعد مائة وسبعين ميلا إلى الجنوب الغربي من دهلي ، والارتفاع عن البحر تسعة آلاف قدم ، وعن الأرض ثمانية آلاف وخمسمائة ، والساعة عشر ونصف ، (يا لطيف يا سلام) »

(1) زافت الحمامة : مشت تسحب ذنبها على الأرض .

ولما قاربنا دهلي ، وظننا أن السفرة انتهت ، والمشقة زالت ، وشرعنا نعد الأميال والدقائق ، أخذت طائرتنا ترجف ؛ تهبط فتعلو فلا تستقر في مستوى . وكان هذا أول ما عهدت من تدئين (1) الطائرات ، فأخذ مني الخوف ، وبلغ مني الدوار ، وكان أمامي رفيق ركب معنا في كرتشي ، فرأيته أغمض عينيه ، وأعربت صفرة وجهه عما به . وما زالت طائرتنا تهبط كثيراً ، ثم تجهد صاعدة لتبلغ مستواها ، فيهبط بها الهواء كرة أخرى ، حتى مر بي شاب من خدام الطائرة ، فلم أملك أن قلت له : ما هذا ؟ قال : يا سيدي نحن هابطون بعد دقائق قليلة . وأشرت إلى أحد الرفقاء سائلا متململا فقال : نحن في إقليم جبلي ، والهواء حار ، ومن هذا كان هذا الاضطراب ..

هبطت الطائرة في دهلي بعد أن فعلت بنا ما فعلت ، وختمت رحلتنا بما أرهبنا ...

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(1) دئن الطائر : طار وأسرع السقوط في مواضع متقاربة وواتر ذلك (لسان العرب)

شعب واحد، وقضية واحدة!

للاستاذ محمود محمد شاكر

يقول العربي الأول:

وحولى من هذا الأنام عصابة توددها يخفى، وأضغانها تبدو
فما العيش إلا أن تصاحب فتية طواعن، لا يعنيهم النحس والسعد
إذا عربى لم يكن مثل سيفه مضاء على الأعداء أنكره الجد
يضارب حتى ما لصارمه قوى ويطعن حتى ما لذابله جهد

فهذا العربي الذي اكتنفته عصابة شر أخرجت له أضغانها، قد كاد يمثل لنا أمر العرب كلهم في أيام الناس هذه. فما من أمة من الأمم الغربية وأشباهها إلا أحاطت بنا عداوتها من كل جانب، تسر ذلك حيناً وتستعلن به أحياناً كثيرة. ولم تكتف بأن ذلك حسبها من وغر الصدور، بل جاوزت ذلك إلى الاستخفاف بمئة مليون من الناس خلق الله، تنظر إليهم كما ينظر السيد إلى عبده ورقيقه، وتعاملهم كما تعامل المرأة الطاغية أمة جعلها الله تحت يدها، فهي تسومها الخسف كأشد ما يبغى الضعيف حين يستمكن له سلطان وبطش. وقد مضت العبر بأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون إلا اضطراراً، وبالقهر والغلبة، كما لم يفهم السادة يوم استبدوا أن الرقيق لن يصبروا طويلا على الذل، حتى جاء اليوم الذي حمل الرقيق على الركب الوعر فثاروا واستنقذوا حريتهم قوة واقتداراً. وكذلك نحن لن نبلغ شيئاً في إفهام أولئك القوم أن عملهم سيء العاقبة، مهما توسلنا إلى إفهامهم بالدعاية والمناشدة، بل لن نبلغ شيئاً إلا يوم يستوى لدينا بحق معنى الموت ومعنى الحياة الحرة، فضلا عن معنى الموت ومعنى الحياة الذليلة.

فمن العبث إذن أن ندعو هؤلاء القوم إلى سواء بيننا وبينهم، لأن القوة قد أسكرتهم فأطاشت حلومهم، وتركتهم لا يدركون إلا ذلك المعنى الخسيس للحياة، معنى الفائدة العاجلة بغير نظر إلى عدل ولا نصفة. وهم قوم تقوم حضارتهم على تزييف الشرور حتى تبدو في صورة الخير، وتدليس شريعة الوحش حتى ترى شريعة إنسان أنعم الله عليه بالعقل والعاطفة ليوازن بينهما موازنة تجلب عليه السعادة في الدارين. ومن العبث أن تحتال عليهم بما يسمونه «السياسة»، فالقوى وحده هو الذي يعرف كيف يستفيد من «السياسة» أما الضعيف فاعتماده على السياسة وبال مستطير الشر، يهدمه ويصرعه، ويمكن لعدوه أن يفترس منه حيث شاء وكيف شاء.

فلا مجازلنا نحن العرب إلا أن نعرف أنفسنا، وأن ندرك حقيقة حياتنا؛ وأن نؤمن بأن القوى لا ينال منا بقوته بل باستسلامنا، وأنه لا يخيف علينا ببطشه بل بتهاوننا واستصغارنا لشأن أنفسنا؛ وأن أجهل الجهل أن يظن ظان أن مئة مليون من خلق الله يمكن أن يفنوا على بكرة أبيهم بسطوة ساط أو بغى باغ، وأنهم هباء لا يزن في ميزان القوة جناح بعوضة، وأنهم غنم مسيرون يهاهى بهم راع عنيف تسوقهم عصاه إلى حيث أراد. نعم لا معدى اليوم لكل عربي من أن يحس في قلبه مؤمناً بما يحس، أنه خلق لعصيان أمر الرعاة الطغاة، وأنه مأمور من عند من خلقه أن يثبت في مكانه لا يطيع عصا الراعي ولا زجرته ولا زئيره ولا إرهابه، وأنه مكلف يحمل أمانة من لدن دبت على الأرض قدم عربية، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها من عجم ومن عرب

فالعربي اليوم هو أعظم الناس حملا للتكاليف، لأنه يحمل وزر ما هو فيه من ضعف ينبغي أن ينفض عن نفسه آصاره، ويحمل حق أجيال مقبلة توجب عليه أن يعمل ويمهد لها في هذه الأرض، ويحمل أيضاً أمانة آباء وأجداد وأسلاف مهدوا له هذه الدنيا التي يسكنها من أطراف الهند إلى أقصى مراكش، ومن حدود تركيا إلى أقصى السودان. هذا، وهو يعيش في عالم عدو له قد قبض على زمام الكون، واستولى على عناصر القوة، ونال أسباب السماء وأطاعته نواحي الأرض. فأى تكليف أشق من التكليف الذي يحمله هذا النبيل المسكين الذي يعيش في الدنيا مشرداً مضطهداً مجهولا مهضوم الحق مرمياً بملفقات العيوب؟

وأول ما يجب على هذا العربي منذ اليوم أن يضع بين يديه صورة أرضه التي توارثها عن آبائه بالحق الذي لا ينازعه فيه منازع إلا مستطيلا أو متهجما: أرض تبلغ مساحتها مساحة قارتين من قارات

الدنيا ، ثم يقول لنفسه : هل يستطيع أحد أن يبيدنى ويبيد أهلى وعشيرتى ويستأثر بهذه الأرض يفلحها أو يعمرها أو يقيم فيها للانسانية حضارة أو دولة ؟ وهل يستطيع أحد أن يقسرنى قسراً على مالا أريد أن أفعله مما يحب هو أن يتم له ؟ وهل يستطيع أحد أن يأخذ قلبى من بين جنبى ليصرفه فى هواه كما يشتهى أو يريد؟ وجواب ذلك كله « كلا ! » ولا ريب . ففيم إذن أخدم نفسى لمن لا يريد إلا إذلالى ، وألفت فى عضدى ، وآكل أرضى وما أنبتت من نبات وحيوان وإنسان ؟

فهذا شأن الفرد الواحد ، فما ظنك إذن بمئة مليون يكونون على قلب هذا الفرد الواحد ، يداً واحدة ، ورأياً واحداً ، وعملا واحداً ، وإصراراً على أن لا ينازعنا أحد فى حق نحن أصحابه وحماته والمكافئون بحياطته ورد العادية عنه ؟ فإذا آمن العربى بهذه العقيدة التى لا مناص له عن الإيمان بها ، فهل يدور فى وهمك أن أحداً يجرؤ على غصب العرب على مالا يريدون ، أو حملهم على شىء يصرون إصراراً على أن لا يقبلوه ؟

إن قضية العرب قضية واضحة بينة المعالم : هى أننا لا نريد إلا أن تكون بلادنا جميعاً مستقلة حرة ، لا يحتل عراقها جندى واحد ، ولا تخضع جزيرتها لسلطان ملوك البترول ، ولا ينال نيلها من منبعه إلى مصبه سلطان بريطانى أو غير بريطانى ، ولا تقع شامها ولبنانها تحت سطوة غاصب ، ولا يعيث فى أرجاء مغربها فرنسى خبيث القول والفعل مجنون الإرادة . وهذا كله شىء لا يملك كائن من كان أن يجبرنا على خلافه أو على الرضى به .

ونحن العرب قد أصبحنا دولا لكل دولة منا سياسة يخشى أن تكون ناظرة إلى استجلاب منفعة خاصة ببلد دون بلد ، ويخشى أن تكون كلمتنا فى قضية العرب لاتزال محصورة فى دائرة أصحاب الأقلام دون أصحاب الحكم والسلطان ، ويخشى أن تكون أعمالنا مفرقة لا تجتمع إلى نهاية واحدة فى وقت واحد . وإذن فلابد منذ اليوم أن نسن لأنفسنا سياسة جديدة فى كل شأن من شئون العرب ، تجتمع بها كلمتنا وأهدافنا وأعمالنا حتى تبلغ الغاية جملة واحدة ، ويداً واحدة وفى وقت واحد . وينبغى أن لا نرضى منذ اليوم أن تفرق قضية العرب وتجعلها قضايا ممزقة : هذه قضية مصر والسودان ، وتلك قضية فلسطين ، والأخرى قضية طرابلس وبرقة ، والرابعة قضية تونس ، والخامســـة قضية الجزائر ، والسادسة قضية مراكش ، والسابعة قضية العراق ... بل إن هذه القضايا كلها قضية واحدة لاتنفك منها واحدة عن أختها أبداً

والعمل لهذه القضية الواحدة ينتظم أفراد العرب ، من ملوك إلى وزراء إلى ساسة إلى أصحاب الأعمال إلى جماعات المثقفين إلى عامة النـاس ، ويحمل عبئها كتاب العربية لأنهم هم اللسان الناطق بما يختلج فى صدور هذه الفئات كلها ، وهم المسددون لخطوات الشعب ، وهم بناة المبادىء ، والمدافعون عنها والداعون إليها ، وهم الذين يحملون الحكومات العربية على انتهاج خطة واحدة ، وعلى الإيمان بمبدأ واحد ، وعلى الوقوف فى ساعة العسرة موقفاً لا ترتد عنه قيد أنملة لإعلانها بأن العرب قوة لا تلين لغامز، وبأنهم أهل أرض تقع فى قلب العالم لا يطيق معتد أن ينال منها نيلا ، إذا ثبتت له كمادة آبائهم وأجدادهم فى الدفاع عن الحوزة والحمى .

ونحن العرب نجهل اليوم أننا قوة كأقوى ما فى هذه الأرض ، يجهل ذلك أفرادنا متفرقين . وتجهله حكوماتنا موزعة الأهواء والأهداف ، ويجهله ساستنا بما كتب الله عليهم من محنة هذه السياسة . فنحن اليوم أحوج ما كنا وما نكون إلى معرفة حقيقة هذه القوة ، وإلى إدراك ما تقتضيه هذه القوة أيضاً .

فالرجل الذى يعرف أنه قوى ينبغى أن يجعل قوته عملا ظاهراً لا يرتد مخافة إرهاب أو نكبة أو شر يلاقيه . فإذا شـــاء رجال العرب وأماثلهم أن يصبحوا فى تاريخ العرب مجداً لا يتكسف ضوؤه أبد الآبدين ، فليستلهموا تاريخ أسلافهم الذين خرجوا من أرضهم وديارهم شعثاً غبراً جياعاً ، ولكنهم خرجوا أيضاً مؤمنين بأن كلمة الله هى العليا ، وأن حقهم وإن قل ناصره، أقوى من باطل سواهم وإن كثر أعوانه والعاملون له وعليهم أن يزأروا زئير الأسد فى غابه ، حتى يستيقظ النائم ، ويتأهب الأعزل ، ويجتمع المتفرق ، وعليهم أن يحاصروا عدوهم بالمدافعة عن حقهم ، قبل أن يحاصرهم بالتهجم على حقوقهم . وعليهم أن يعلموا علم اليقين أن العربى حين يمد يده إلى سيفه ، فهو يمدها إلى قوة زاخرة لا تزال تنحدر إليه منذ آلاف السنين بمدد لا ينضب من العزة والشرف والمجد الذى تناله يد المتطاول .

إننا قوة لن يتجاهلها أحد مهما بلغت قوته إلا كنا شجى فى حلقه ، لا مجازاً وبلاغة ، بل هى الحقيقة المجردة عن كل مبالغة

تحيـــة البطلين

للأســـتاذ علي الطنطاوي

إلى البطلين العربيين اللذين اعلما أهل الأرض أن في الوجود شيئاً أقوى من الحديد ، وأمضى من السيف ، وأحمى من النار وأنكى من القنبلة الذرية ، هو الإيمان

اللذين تخلفا عن بدر والقادسية واليرموك ليطلما في الغوطة ونابلس والريف ، فيكتبا بالدم على جبهة الثرى ، أن العزيز لا يذل وسليل من حكموا الدنيا لا يحكمه في بلاده أجنبي ولا غاصب .

اللذين أثبتا للعالمين أن العرب الذين سادوا في أول الدهر سيسودون في آخره .

إلى القائدين العبقريين : عبد الكريم الخطابي وفوزي القاوقجي

تقدير الأدب للبطولة ، وتحية القلم للحسام

***

أما عبد الكريم فلم أره ولا أحب أن أراه لتبقى له في نفسي هـذه الصورة العلوية الخالدة ، لا تفسدها معالم اللحم والدم في الإنسان الذي يأكل كما يأكل الناس ويشرب ، ويرضى ويغضب ويجد ويلعب ، وليكون اسمه أبداً في ذاكرتي مع أسماء العباقرة الخالدين ، القادة السادة الهداة ، خالد وعمرو وقتيبة وابن القاسم وابن نافع وطارق ، الذين أفاضوا على الحرب الحق والرفق فجعلوها مقدسة مشروعة ، وأثاروها لله لا للكسب ، وللخير لا للشر ، فاستولدوها الحياة والحضارة والسلام ، وما كانت تلد إلا الموت والخراب والانتقام

وأما فوزي فقد عرفته في بغداد ، قبل أن تعرف بغداد بطولته ويشهد العراق عبقريته . فكنت أزوره في داره في الكرادة أنا وأنور العطار ويزورنا في مثوانا في الفندق ، وأضرب معه في آفاق الأحاديث ، وأراه مسترسلاً على سجيته ، منطلقاً مع طبيعته ، وأتحرى خلائقه ، وأتقرى سلائقه ، فأراه يعلو في نظري إن طالما زلت الخلطة بالرجال ، ويكبر إن صغرتهم ، وأنا أشهد أني لم ألق في عمري من (الرجال) ، وقد قاربت الأربعين ، وقد سكنت الشام والعراق ومصر والحجاز إلا (رجالا) لا يشغل عدهم أصابع اليدين وأشهد أن من أكملهم رجولة ، وأفتاهم فتوة ، وأظهرهم قوة ، في جسمه وعقله وقلبه وضميره : فوزي القاوقجي

عظيمان جهلا نفسيهما ، فحسبا أنهما اثنان من الناس خلقا ليعيشا كما يعيش الناس ويموتا كما يموتون ، لا تحتفل بمولدهما الدنيا ولا تضطرب لموتهما الأرض ، ولا يحس بهما التاريخ ، وتلفتا يفتشان عن مهنة يعيشان منها فوجدا في قلبهما الميل إلى الجندية لأنها مهنة البذل والبطولة والنبل وخوارق العادات ، ولكنهما لم يجدا في أمتهما الجيش العربي ، فتطوعا لخدمة الجيش الأجنبي ... وتحركت العظمة الفطرية فيهما فكانا ضابطين نابغين ، ولكنها ظلت حبيسة في سجن الوظيفة ، مقيدة بقيد القانون ، حتى جاء اليوم المقدور ، فنقبت السجن ، وحطمت القيد ، وانطلقت تملأ الأرض ، وتترع الزمان .

أخوان ائتلفا ولم يتعارفا ، وتكلما وما كان بينهما كلام ، وتواعدا وبينهما بحر العرب[1] بعرضه ، على أن يلتقيا في مصر ، فجاءاها بعد ما زرعا طريقيهما إليها مفاخر للعرب وأمجاداً ، وبعد ما حارب هذا بشعب أعزل ، وقبائل بدوية ، دولتين عظيمتين : فرنسا وأسبانيا حشدتا له مائتين وخمسين ألفاً ، ونازلهما فأنزل بهما الهزائم وجرعهما

(١) هو بحر العرب لا البحر الأبيض المتوسط .

إننا قوة سوف تجبر بريطانيا وروسيا وأمريكا وسائر أمم الغرب على أن تعرف أن العرب ، قد أفاقوا في العصر ، وأنهم قد عزموا على أن ينالوا حقهم أو أن ينتزعوه انتزاعاً من كل من تسول له نفسه أن يهتضم حقوق الناس ويأكل أموالهم ويعيث في بلادهم فساداً وطغياناً وشراً . إننا نحن العرب أمة واحدة في دول متعددة ، وسنكون أمة واحدة تحمي حقوق الضعفاء من أي الناس كانوا . إننا نحن العرب أمة قوية وإن ظن الناس بنا الضعف ، ونحن أصحاب هذه الرقعة من الأرض ، سوف تكون خالصة لنا دون الناس لا تشاركنا فيها دولة بريطانية ؛ أو دولة صهيونية أو دولة فرنسية .

وعن قريب سوف تقول حكومات العرب كلمتها ، وسوف يجتمع رأينا على أننا لن نرضى بأن نجعل قضيتنا أجزاء يتلعب بها هذا ويلهو بها ذاك ، إنها قضية واحدة ، يرفعها شعب واحد ، مطالباً بحق واحد ، هو أننا أحرار في بلادنا .

محمود محمد شاكر

شراب الموت ، وقارع ذلك دولتين عظيمتين : إنكلترا وفرنسا وفل جيوشهما فى الشام وفلسطين والعراق . وبعد ما أثبتا للدنيا أن العربى لا يستعبد ولا يهون .

لقد عاد فوزى إلى وطنه سورية على رغم فرنسا ، فلما لم يرفيها مستشاراً فى دائرة وكانت الدائرة هى المستشار ، ولا شاهد قلعة فرنسية على رابية ، ولا داراً فرنسية فى شارع ، ولا لوحة فرنسية على متجر ، بكى فرحاً ، بكى (الرجل) الذى لم يبك وهو بين شقى الرحى التى تديرها يد الموت . واستقر عبد الكريم فى مصر على رغم فرنسا ، فلما رأى الملك العربى ، والجامعة العربية ، والشعب العربى ، بكى فرحا ، بكى (الرجل) الذى لم تبكه خمس وعشرون سنة فى منفى سحيق وضعته فيه فرنسا التى أقسمت له بشرفها أنها لن تأسره … فلما تمكنت منه كان وفاؤها له ، على مقدار شرفها …

لقد شهد الرجلان مئات المعارك ، وحملا مئات الجروح ، ولقيا مئات الشدائد ، وها هو ذا فوزى يفتش عن ميدان جديد للجهاد ، وعبد الكريم يستجم ليعود إلى النضال — وكذلك تكون الرجال

لم يرض فوزى أن يكون كهؤلاء الذين جنوا على الجهاد لما تسموا كذبا بـ (المجاهدين) … وما جاهدوا ولكن قتلوا الثورة ، وفرقوا أهلها ، وسرقوا أموالها ، وعادوا اليوم يأكلون ويشربون ، وينعمون ويتمتعون باسم الجهاد الذى لم يكونوا من أهله — فعاف المناصب والمراتب ، وعزف عن الأموال ، وآثر أن يبقى كما كان مجاهداً حقاً ، لا يلقى سلاحه ، ولا يغمد سيفه ، حتى لا يبقى فى الوطن الأكبر شبر واحد يحتله مستعمر — وكذلك تكون الرجال

هذان هما القائدان البطلان ، فتقدما يا أيها البطلان القائدان فهذا هو الجند معداً ، وهذا هو الجيش لا ينقصه إلا القائد ..

هذا الشعب كله جيش معد ، لا يمل الجهاد ، ولا يضن بالضحايا ، ولا يعرف الونى ، ولا يدركه الكلال ، فادعواه باسم الوطن ، باسم الأرض ، باسم العرض ، باسم الدين ، وانظرا كيف يلبى هذا الشعب الدعاء …

هذا الشعب لا أعنى (كباره …) الذين فتنتهم المناصب ، ولا تجاره الذين تعبدتهم المكاسب ، ولا فساقه الذين عاشوا لتقليد الأجانب فى البلايا والمصائب ، وكانوا فى جسم أمتهم حيات وعقارب ، ولكن أعنى الشباب …

إن الشباب هم أرباب المثل العليا ، هم الأطهار ، هم بناة الوطن هم الذين إذا جد الجد سدوا آذانهم عن أصوات المفرقين الهدامين فلم يكن فيهم من حزبيين ، يتقاتلون ليخسر الوطن ويربح الزعماء ولكن عرباً مجاهدين ، كارهين للاستعمار والمستعمرين ، ثائرين على الظلم والظالمين …

أولئك الشباب الذين تعلموا منكما أيها البطلان كيف يتخذون قضية فلسطين والمغرب عقيدة ويجعلونها لهم دينا ، لا يرون لمن يقر الاستعمار فى بلاده وهو يقدر على دفعه إيمانا ، ولو صلى وصام وحج وزكى ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

لقد أقسم هؤلاء الشباب ليبذلن الدماء والمهج ، وقاموا للنضال ولكنهم افتقدا القائد فقعدوا . فتقدما للقيادة يا أيها البطلان يا بطل الشرق ويا بطل المغرب

واعلما أنكما حاربتما عدواً قوياً ، بأمة كانت غافلة ، وقد ضعف اليوم العدو ، وتيقظ الغافلون ، فحاربا مرة ثانية وثالثة وتاسعة وعاشرة ، حاربا إذا لم تعطيا الحق كاملا فما فى الدنيا شريف يزدرى الحرب فى سبيل الحق والحرية والشرف ، وقد حارب الفرنسيون لما وطئت بلادهم ، وإن كانوا فى الحرب نعاما تحسن الفر لا أسوداً تجيد الكر ، وحارب الانكليز ، وحارب الأمريكيون ، وحاربت قبائل البوير ، وحارب أهل الحبشة ، وحارب هنود أميركا يوم دخلوها عليهم … وحاربت كل أمة على ظهر الأرض . وكانت هذه الحرب المقدسة خلقاً فى طبع كل أبى شريف لا يكون من يفقده أبياً ولا شريفاً ، لا يكون إلا كلباً ، بل إن الكلب يحارب دون وجاره ، وكل حيوان حى يدافع عن ذماره ، حتى الخنزير البرى … فهل يريد أنصار المفاوضات والمحادثات أن نكون أقل من الخنازير ؟

كلا ، وأنف الكاره فى الرغام . كلا ، ولكنْ أكرمَ من كل كريم ، وأعز من كل عزيز ، وأسمى من كل بشر أظلته السماء وحملته الغبراء . وإلا فما نحن لأولئك الأجداد ، ولا نحن لرمال الجزيرة ، ولا نحن لمن حملوا نشيد (الله أكبر) ومشوا حتى صكوا

به سمع الزمان، ودارعوا به جن الفلا، وملأوا به كل سهل وجبل حتى دانت لهم الأرض ومن عليها، ولا نحن لمحمد.

كلا، نحن سلائل الفاتحين، في عروقنا دماؤهم، وفي صدورنا قلوبهم، ولنا عزتهم، ولئن فقدنا السلاح فما فقدنا العقل الذي يصنعه، ولا اليد التي تشحذه، على أنه إذا أعوزنا السلاح أخذناه من يد عدونا وجالدناهم به. وكذلك فعلنا

لن نهاب بعد اليوم غربياً، ولن نثق به أبداً.

لقد مات العهد الذي كنا نخاف فيه أن يغضب صعلوك من المنتسبين إلى فرنسا فتغضب الامتيازات.

لقد قضي العهد الذي كنا نرى فيه فرنسا وأخواتها أم الحرية والديمقراطية والمدنية وحقوق الإنسان.

لقد أبدت الحقائق وجوهها التي كانت مبرقعة ورآها الناس كلهم إلا هؤلاء العميان الذين طمست أبصارهم وبصائرهم المدارس الفرنسية في الصغر، والمواخير الفرنسية في الكبر، وهم بحمد الله أقل من القليل.

لقد رأى الناس فرنسا على حقيقتها أمة همجية تمنع الخبز عن الجائعين ليموتوا جوعاً، وإنكلترا تنصر الصهيونيين على الفلسطينيين والهولنديين على الجاويين، وأمريكا تقول لصاحب البيت: اخرج ليدخل اللص ويأخذ دارك. ولكن خسأ اللص وخسأ من ينصره، إن دون الحمى آساداً

أنتم أيها الأميركيون لا تدركون ما هي قوانا لأنكم لا تعرفون إلا المادة. إنكم لم تسمعوا بأخبار الفتوح الأولى في الشام والعراق ومصر والأندلس، ولا بأخبار الفتوح الآخرة في الغوطة والرميثة وجبل النار وريف المغرب، فاسألوا عنها فارس والروم وإسبانيا وفرنسا وإنكلترا ...

إنكم تحسبون قضية فلسطين كقضية سرقة في شيكاغو، تدخلون بالرشاشات فتنهبون المخزن ...

كلا، والحي القيوم، لن تكون لليهود دولة في فلسطين ولن يكون للفرنسيين اتحاد مع المغرب، حتى لا يبقى في هذه البلاد كلها حي يمشي. لن يأخذوها حتى يروا ويرى من يعينهم يوماً يذهل له كتاب التاريخ، ويصيبهم من هوله الجنون. يوماً لا ترون فيه تاجراً في دكانه، ولا موظفاً في ديوانه، ولا تلميذاً أو مدرساً في مدرسته، ولا قاضياً في محكمته، ولا امرأة في دارها. وإنما ترونهم يسيرون إليكم جميعاً يقاتلونكم إن عجزوا عن السلاح بأيديهم، وصدورهم، ويستنزلون غضب الله عليكم، فأبيدوهم يومئذ بقنابلكم الذرية، إذا محيت الإنسانية من الأرض، واستبيح قتل الشعوب، وإذن فستنبت الأرض التي تسقيها دماؤهم أمة جديدة تقاتلكم دون أرضها وحماها.

ويلكم إن الله في الوجود، ما استقال ولا أحيل على المعاش؛ وإننا مع الله نستعينه عليكم، والله أكبر منكم، هذا نشيدنا الذي يهون علينا كل خطر، ويصغر كل عدو مهما تكبر: الله أكبر

لقد علمنا ديننا أن نستوهب الحياة بطلب الموت، وحبب إلينا نبينا الشهادة. نلحقها إذا هربت منا، ونفتش عنها إذا ضلت عنا. فما ذا تخيفون أمة تريد الموت؟

نحن نريد الموت ونسعى إليه، قد أعددنا الجيش للجهاد. وهيأنا القوى للجلاد، فتقدما يا أيها البطلان القائدان، تقدما فاقتحما النار، وخوضا البحار، فإننا معكما لن نرجع ولن نلقي السلاح ولن ندع الجهاد، حتى لا يبقى في دنيا الإسلام، وأرض العرب، علم لأجنبي، أو حكم لمستعمر، والله معنا. والله أكبر!

علي الطنطاوي

القسم الخامس:

فرنسا ومستعمراتها

ما بين الاتحادين الفرنسي والسوفيتي

للأستاذ أحمد رمزي بك

ما كنت أعتقد حينما كتبت الكلمة الثالثة عن الاستعمار الفرنسي والتي أشرت فيها إلى ثلاث هيئات اتحادية تقف أمام الأمم الإسلامية وحريتها أن تبرز المتناقضات بهذه السرعة ، فقد وضعت الاتحاد الهندوكي بجوار الاتحاد الفرنسي والاتحاد السوفيتي وقلت عنها إن كلا منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية يصبغها بصبغة التحرر ويريد أن يقنع الضمير العالمي أن الاتحاد هو وليد إرادة شعبية ، وأنه في مصلحة الأمم والشعوب الداخلة فيه ، ويعلم القائمون بأمر كل منها أن هذا بعيد عن الحقيقة بعداً تاماً ، ولذلك سيكون كفاح الأمم الإسلامية في طريق الاستقلال والتخلص من هذه السيطرة الاتحادية المفروضة عليهم شديداً في الهند والمغرب ، وقاسياً جداً في أواسط آسيا : ولكني مؤمن وواثق بأنهم سيتغلبون لا لأن الحق معهم وكفى ، بل لأن قوانين الكون الملازمة لطبيعة الأشياء وتجارب التاريخ معهم ، وستذهب قوات الطغيان التي تستعبد المسلمين أو تحاول ذلك هباء منثوراً وتندك صروح بنيت على تضليل الناس » .

ومن قبيل هذه الثورة القائمة علينا ، البرقية التي جاءت بأن البندت نهرو يحذر الأمم العربية ويقول « إننا لن نعترف باستقلال أية دولة تقام في الهند ، وسنعتبر الاعتراف من أية دولة أجنبية بهذا الاستقلال عملا لا ينطوي على الصداقة » .

وفي بعض ما ورد بالجرائد المصرية مقال عنوانه « الباكستان خير أم شر » ويقول بأن استقلال المسلمين في الهند يتعارض مع العالمية التي هي من مظاهر الكون . ونحن لا نعارض هذه العالمية ولكننا نفرض استقلال البلاد الإسلامية كشرط أساسي للتعاون الاقليمي ثم التعاون العالمي وإلا تعرضت الجماعات الإسلامية للزوال وضاعت شخصيتها وانهد كيانها .

وأعود إلى فرنسا وأمبراطوريتها ، وما تنويه من فرض الاتحاد والإدماج على شعوب العروبة والإسلام ، بعد أن رأينا رجال الفكر يسبقون التاريخ في هذه الناحيه ويرسمون خطط السيطرة والغلبة ، فقد ذكرنا فيما تقدم إشارة عن مؤتمر برازافيل الاستعماري الذي عقد بأفريقيا عام ١٩٤٤ ، وجمع أساطين الاستعمار ودهاته واستعرض برامج المستقبل ، وأشار بتأكيد سياسة الاتحاد بين فرنسا وما تملكه من الأراضي الواسعة في إفريقيا وآسيا وصهرها في كتلة واحدة .

ويهمنا أن نتتبع المسائل العامة التي دارت المناقشات حولها فقد برزت هناك فكرتان : فكرة التعاون ، وفكرة الإدماج ، ولكل من الفكرتين أنصار وخصوم .

ومعنى التعاون إعطاء الأمم أو الأقاليم شيئاً من الحرية والحكم الذاتي بالتدرج ، ثم دعوتها إلى التعاون مع الدولة صاحبة السيادة في نطاق اقتصادي كما هو الحال في بعض المستعمرات البريطانية . ومعنى الإدماج أن تفرض على الشعوب المحكومة أنواع من الارهاب والترغيب تنتهي إلى إيجاد شعور يقول بأن مصلحة المجموع أن يندمج مع الأمة الحاكمة في جنسية واحدة .

ويقول خصوم التعاون إنه في النهاية يؤدي مع الزمن إلى حياة الدومنيون الاستقلالية ، وهذا لا يتفق مع المنطق الفرنسي الذي يميل إلى المركزية ولا يسلم بتوزيع السلطات ، وفي النهاية يعرض الكيان الإمبراطوري إلى الانهيار .

ويقول منتقدو الإدماج ، إذا سرنا خطوات كبيرة في سبيل ذلك وتكلم خمسون مليوناً لغتنا وأخذوا بثقافتنا ودخلوا مجالسنا النيابية وحصلوا على حقوق الواطنين وضعنا مستقبلنا بين أيدي ناخبين أجانب من شعوب ملونة منحطة ، وقد تغمرنا موجات فكرية وثورية لا نقدر على كبحها ، أو قد تتحالف هذه العناصر مع عوامل الهدم الفرنسية وتميل مع أحزاب اليسار لتفرض إرادتها ؛ حينئذ يفلت الزمام من الأيدي الفرنسية الرشيدة العاقلة وتعرض حياة الأمة إلى أخطار جسيمة .

خرج مؤتمر برازافيل إلى الأخذ بحل وسط يجمع بين التعاون والإدماج : فسياسة التعليم بنيت على إدماج الشعوب في الثقافة الفرنسية ، إذن يجب أن تشتد هذه السياسة التعليمية وأن يكون هدفها إضعاف اللغات القومية وخصوصاً اللغة العربية . وفي المستعمرات الإفريقية تقرر منع التبشير باللغات القومية وجعل

تدريس قواعد الدين الكاثوليكي باللغة الفرنسية .

ولن أطيل على القارىء سرد بقية القرارات فهي مطبوعة إذ ماذا يهمنا من أمر البلديات وطريقة انتخاب المجالس العامة بالمستعمرات وزيادة سلطة الحكام والتصديق على الميزانيات والقروض ، ما دامت السيطرة المركزية لوزير المستعمرات قائمة ومادامت سياسة المؤتمر ترمى إلى تأكيد السيادة الفرنسية وتثبيت الرأى النهائى للجاليات الأوروبية فى مستقبل المستعمرة ، وجعل الكلمة العليا للكولون الفرنسى باعتباره ممثلا للأمة الحاكمة صاحبة الأمر والنهى والسيادة .

فالسياسة التعليمية اتجهت اتجاهاً إدماجياً مسترشدة بالنظم الروسية التى تستعين بالمدرسة على إخراج جيل من الناس يؤمن بالثورة وتعاليمها ، كذلك المعلم الفرنسى من واجبه أن يفرض لغته ليخرج طائفة تفكر فرنسياً وتنطق بلسان فرنسى وتؤمن بعظمة وأهمية الحصول على الجنسية الفرنسية والافتخار بأن الفرد الأسود هو فرنسى أسود ، وأن اللون لا يمنع أنه من سلالة الغالبين سكان فرنسا الأصليين وهذا نهاية مايصل إليه الغرور الاستعمارى

ولكن سياسة الإدماج تواجه الشعوب الإسلامية ، والإسلام والعروبة فى عالم الاستعمار وباء يصعب مواجهته ، ويستعصى التخلص منه ، فهو راسخ فى عقول ملايين من الناس وهو كالنار تحت الرماد ، وقد أمضى الاستعمار مع الإسلام عشرات السنين وكما خيل إلى المستعمرين أنهم فضوا مشاكله وقضوا عليه ، برزت لهم الأدلة على أنهم ما زالوا بعيدين عن زمن القضاء على حيويته ، وأنهم على ما أوتوا من قوة البطش وسعة السلطان ، أعجز من أن يكسبوا أمامه المعركة النهائية والقول الفصل .

من هنا فكرت فرنسا فى إيجاد مركز دائم للشؤون الإسلامية بمدينة الجزائر وأطلقت على هذه الإدارة : وزارة تنسيق الشئون الإسلامية . ولنلاحظ أن الاصطلاح الفرنسى يعتبر المسلمين كطائفة مهما كان عددهم كبيراً أى أن هؤلاء الناس لا يكونون أمة من الأمم وليس لهم وطن ولارابطة مع الأرض التى يعيشون عليها : فهم رعايانا المسلمون ، وهم مسلمون وكفى ، وهذا رأيهم وهو خطير فى نظرى .

وتولى هذا المنصب فى الجزائر صديقنا الجنرال كاترو وهو الذى عرفناه فى سوريا ولبنان مندوباً سامياً ، ولمسنا فى شخصه اجتماع القائد والسياسى معاً ، وبرهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء وفكر ومقدرة ، وهو يتظاهر بأنه صديق للاسلام والمسلمين وأنه يعطف على أمانيهم المشروعة ويدفع الظلم عنهم ، ويمثل فى الوقت الحاضر فرنسا بموسكو عاصمة السوفييت ، قلت دائماً إن رجلا له مزايا كاترو وإلمامه وفهمه لشؤون الدنيا ودرايته بمشاكل الاستعمار لايترك الوقت يمر أمامه من غير أن يشغله ببحث شؤون الإسلام فى روسيا . نعم قد يكون اختياره كسفير لبلاده من قبيل الإبعاد السياسى فى وقت ترفض العقلية الفرنسية وضع العسكريين فى الصف الأول ، ولكن لكاترو منزلته ورأيه وشخصيته . وللاتحاد السوفييتى سياسة مرسومة تجاه المسلمين ، حقيقة إن الناس قلما يتعرضون لها ، ولكن أعين الاستعمار لا تغفل عنها ، لأن روسيا فى توسعها وانتشار نفوذها واجهت المسلمين كما واجهت فرنسا الإسلام من قبل ومن بعد ؟

ولكن تجارب روسيا مع المسلمين غير تجارب فرنسا ، فالأخيرة تحيا تحت سلطان الحروب الصليبية وتقاليدها إلى اليوم وهى حروب اشترك فيها غيرها من الشعوب وكانت نهايتها محزنة لأن السيوف التى انتصرت هى سيوف المسلمين ، ومع هذا تقلب الكتب الفرنسية الحقائق وتجعل من الهزائم الفرنسية مفخرة للشعب ودوافع للعمل والجهاد ضد المسلمين .

أما روسيا فقد عاشت قروناً محكومة بالمسلمين ولاقت منهم شدة وعنتاً ، وبين الكنيسة البيزنطية والمسلمين عراك طويل ، ولم تبدأ حملات روسيا بجد ضد الأراضى التى يسكنها المسلمون إلا فى عهد كاترين الثانية ، إذ دخلت أقاليم إسلامية كبيرة تحت حكمها ، وكانت أساليب الحكم الروسية سهلة واضحة : ذبح المسلمين وتشتيتهم أو تركهم إذا قبلوا الدخول فى المسيحية ، ولقد دخل ملايين منهم فى الجنسية والديانة ، ومن بقى محتفظاً بديانته سراً أعلن إسلامه بعد ثورة ١٩٠٥ و ١٩١٧ .

ولما اتسع ملك الروس فى آسيا الوسطى وقفقاسيا أخذوا يفكرون فى إيجاد سياسة إسلامية ، وأخذوا يقلدون الدول الاستعمارية الغربية ، ولكن ثورة البلاشفة قضت على القيصرية وأعلنت حقوق الشعوب وحريتها وسمحت للمسلمين بإقامة شعائرهم الدينية بعد أن كانوا محرومين منها ، ثم عادت فأعلنت الحرب على الأديان كلها ، وكان من الطبيعى أن يحارب الإسلام كغيره وهو قوة عالمية ثورية شأنه شأن الحركة الشيوعية إذ يحمل كل منهما لواء العالمية ، وتفنى فيه القوميات والعنصريات والطائفية . فالشيوعية

تحاول التغلب على الإسلام فى الجهات التى ساد فيها ، ولها أساليبها الخاصة فى هذا المضمار ، التى جاءت نتيجة للتجارب التى بدأها لينين فى سياسة التقارب مع الأمم المغلوبة فى ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ثم انتهت إلى تحطيم الجمهوريات الوطنية وفرض الأنظمة الشيوعية والدخول فى سياسة اتحادية تخضع أراضى السوفييت كلها لسلطة موسكو المباشرة .

وكان أن واجه الشيوعيون مشكلة حكم إمبراطورية استعمارية تحت نظام جمهورى اشتراكى وخطوا فى السنوات الماضية خطوات جبارة فى طريق استغلال واستثمار أراضى البلاد الإسلامية باسم جديد وأنظمة جديدة ، وفرنسا من ناحيتها تحكم ملايين من الشعوب الملونة والأمم الإسلامية وتحاول أن تحتفظ بسيادة الجمهورية المركزية على أقاليم شاسعة : فهما تلتقيان فى معالجة مشاكل متشابهة تلتقى عند هدف واحد هو المحافظة على وحدة إمبراطورية استعمارية بأى ثمن .

وإذا سرنا فى المقارنة من الناحية الداخلية نجد أن فرنسا تحكم بلاداً لها شخصية أو شبه سيادة مثل مراكش وتونس وبعض أقاليم الهند الصينية ، ولديها بقاع يحكمها أمراء وسلاطين بإفريقيا ، أما الاتحاد السوفييتى فبعد أن حطم ممالك بخارى وخوارزم[1] وحكم الاقطاعيين الذين عاشوا تحت ظلال القيصرية ، عاد فأنشأ جمهوريات ذات سيادة إسمية فى أذربيجان وتركستان وأزبكستان وتاجيكستان والقرغيز ، وأعطى لأقاليم أخرى نظام الحكم الذاتى مثل الداغستان وبشكيريا وغيرها .

وهذه الأقاليم التى عددناها إسلامية وأهلها مسلمون ومعظم أقاليم الإمبراطورية الفرنسية أو أهمها من بلاد الإسلام ويسكنها المسلمون ، ولذلك يحلو لرجال فرنسا أن يقولوا عن بلادهم إنها دولة إسلامية كبرى ، والسوفييت وإن كانوا لا يقرون بالأديان ، فأنهم مع ذلك على اتفاق مع الاستعمار الفرنسى فى مواجهة المسألة الإسلامية باعتبارها معضلة تتطلب الحل ولها مشاكلها ومتاعبها ومضاعفاتها ولذلك تحتاج إلى دراسة وبحث ، ولهذه سياسة خاصة بها : أى أن للاسلام سياسة مرسومة فى كل من روسيا وفرنسا ترمى كل منهما إلى أهداف مختلفة ولكنهما تلتقيان فى نهاية واحدة وكلاهما يسير على منهج الإدماج ونقصد به صهر القوميات فى

(١) إمارة خيوة فى عصر القيصرية .

كتلة واحدة ، ولكن الاتحاد يسير على نمط خاص به ، فهو يفرض اللغة الروسية مع الفكرة الاشتراكية والفلسفة الماركسية ويقدمها فى قالب واحد ، وسار فى هذا أشواطاً حتى فى الجمهوريات المسيحية ، لأن حكومة الاتحاد قررت تشتيت مجلس السوفييت المحلى فى بلاد الكرج (جورجيا) لأنه عارض سياسة الاتحاد وقرر التمسك باللغة القومية وجعل لها المقام الأول فى التعليم وللروسية المقام الثانى ، ثم يتفق مع السياسة الفرنسية فى إحياء لغات اندثرت وثقافات اندرست حين يهاجم الوحدة الإسلامية فى آسيا الوسطى باسم الفن والتاريخ والثقافة[1] .

ويشبه هذا النشاط سياسة فرنسا فى التفرقة بين العرب والبربر حتى تظهر ثقافات متباينة فى كل رقعة ويفقد الإسلام تلك الوحدة التى اشتهر بها وعرفت عنه .

فلهذا وغيره يبدو الاتحاد السوفييتى فى أنظمته وكيانه كوحدة استعمارية تسيطر على أقطار المسلمين وتفرض عليهم حكماً خاصاً كأنموذج صالح لفرنسا يصح أن يحتذى فى أشياء . والفرنسيون أذكياء وأهل منطق ، يعرفون تماماً أن الأنظمة والدساتير لا تبنى الممالك وإنما القوة الدافعة هى التى تحميها : والقوة الدافعة فى أراضى السوفييت هى الحزب الشيوعى الذى يستند على قوته الثورية وأنه حزب عمالى ترتكز عليه الدولة وتخضع لمشيئته ويسيرها كما يشاء .

ولا تملك فرنسا هذه القوة المتصفة بالبطش والفتك ، إذ هى لا تزال تأخذ بأنظمة الدساتير الديموقراطية وتعدد الأحزاب ، وهناك مسائل أخرى تفترق عن السوفييت فيها ، أهمها أنها تحترم الملكية الفردية وتشجع الشركات والأفراد فى تولى الإنتاج الزراعى والصناعى ، بينما الاتحاد السوفييتى لا يعترف بالملكية للفرد وإنما يأخذ بالاشتراكية ويجعل حق الملكية للدولة أو يعترف بالملكية التعاونية ، وقد يلتقى النظامان فيما يخص الملكية بأراضى بعض المستعمرات ؛ إذ يحرم التشريع الفرنسى على الأهالى ملكية الأرض ويسمح بها لشركات الاستثمار وللمستعمرين البيض ، ولا نعرف مقدار حظ المسلمين فى المزارع التعاونية بالروسيا فقد تكون بأكلها فى أيدى الروس فهى لا تختلف إذن عن شركات الاستثمار الكبرى فى المستعمرات الفرنسية ، ولكن الثابت

(١) من أكبر وسائل محاربة القومية والإسلام محطة الإذاعة التى بأغانيها ولغتها العامية تتفق مع الاستعمار فى هذه الناحية

لدينا هو أن الأهالى المسلمين محرومون من حق الملكية فى جمهورياتهم فهم إذن كأهل المستعمرات الفرنسية السود فى هذه الناحية . ولم يكن تطبيق النظام الاشتراكى أو التعاونى لصالحهم بل لتقوية الجاليات الروسية وزيادة إفقارهم وضرب الذلة والإملاق عليهم .

هذه نظرات أولية تمكننا من تلمس بعض ما يقال له فوارق وبعض ما يلتقى النظامان الاستعماريان فيه من نواح . ولا نقدم جديداً حينما يتعلق الأمر بالأنظمة إذ هى الأسس التى يقوم عليها الاتحاد ، وفرنسا تقدر الفوارق والاتجاهات فى الاتحاد السوفييتى ولكنها تعجب من الأنظمة كدعامة للوحدة ، فدستور السوفييت يقول : —

« بأن الدولة اتحادية تقوم على أساس الاتحاد الاختيارى بين الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية المتساوية فى الحقوق » .

وهذا نص مشجع لأن تأخذ به فرنسا فى نظامها الجديد خصوصاً وأن معنى الاختيار غير معلوم لدى الروس .

إذ لا يذكر العالم أن إحدى الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى جاءت إلى الاتحاد وانضمت إليه باختيارها ، وإنما دخلت الاتحاد بعد معارك دموية وقتال استمر طويلا ، ولذلك لن يكون هنالك اختيار فى الاتحاد الفرنسى كما قلنا .

وينص الدستور السوفييتى على حق تقرير المصير ويعترف لكل جمهورية بأنها ذات سيادة ، ولكنه يقيدها فى المادة ١٤ من الدستور نفسه وفيها كل ما يهدم شخصية واستقلال وسيادة الجمهوريات المقول بأنها مستقلة وذات سيادة . وهذا النص يجعل حق تقرير المصير غير موجود ، ولذلك سنراه فى دستور الاتحاد الفرنسى وستأخذ به حكومة الهند عند مواجهة دولة باكستان الإسلامية ، وستتمسك به كل دولة اتحادية حينما ترمى إلى السيطرة والتحكم فى مصير الأمم الإسلامية .

فمن المفيد أن نعرض هذه المادة مع بعض التفصيل ليستيقظ الغافلون بمصر : فهذه المادة تجمع طائفة من الأمور العامة الحيوية لكل شعب منها ما هو سياسى وعسكرى واقتصادى ومنها ما هو ثقافى وتشريعى . فإذا بحثت عن الباقى من سيادة جمهوريات الاتحاد المستقلة وجدته ضئيلا بحيث لا يصح أن يقارن بالسيادة التى تتمتع بها أية ولاية داخل نظام الولايات المتحدة الأميركية .

فإذا سلمنا بأن حكومة الاتحاد ترى أن من حقها عقد المعاهدات وحصر التمثيل السياسى فيها وتسلم قضايا السلم والحرب وتنظيم الدفاع وقيادة القوات المسلحة وحماية سلامة الدولة المستقلة ، فإن هذه المادة تضيف أشياء أخرى تجعل النشاط الاقتصادى بأكمله خارج نطاق الجمهورية المستقلة ، وبهذا يصبح الاستقلال وهمياً ولا فائدة منه ؛ إذ تخضع المشاريع الصناعية والزراعية وإدارة المصارف ووسائل النقل والمخابرات ونظام النقد والتأمين وعقد القروض وكل ما يتعلق باستثمار الأراضى واستثمار الغابات ومساقط المياه فى يد حكومة الاتحاد .

وعلاوة على ذلك يسلب من الجمهوريات سلطتها على كل شؤون التعليم والثقافة ، ويسلبها حقها فى التشريع الداخلى الصرف ، إذ تبقى سلطة حكومة الاتحاد هى العليا فى كل ميادين المعارف والصحة ، ويخضع المحاكم والقوانين من مدنية وغيرها حتى قانون الجنسية وإقامة الأجانب وتنقلاتهم لحكومة الاتحاد ؛ هذا مع قرار الاتحاد بأن لكل جمهورية دستورها الخاص بها ، وهنا تهزأ حكومة السوفييت بالعالم حينما تقول :

إن لكل دولة من الجمهوريات المستقلة مطلق الحرية فى أن تنفصل عن الاتحاد السوفييتى .

ومن قبيل تحصيل الحاصل أن يقرر الدستور السوفييتى أنه فى حالة التعارض بين القانون الخاص بأية جمهورية مستقلة والقانون الاتحادى وجب على الحكومة المستقلة تنفيذ قانون الاتحاد ، فلا توجد هيئة عليا كما هو الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية للفصل فى تنازع الاختصاص أو تفسير الدستور .

من هذا نفهم ولع الفرنسيين بالاتحادية وأنهم بعد أن قلبوا أنظمة الاستعمار وأساليبه من أمريكية وبريطانية وبرتغالية وهواندية وجدوها لاتمشى غايتهم ووجدوا مع اختلاف الأهداف فى نظام الاتحاد السوفييتى ما يصح الأخذ به والسير عليه ، إذ فيه تأكيد لسيطرتهم وإبقاء لحكمهم .

ولذلك لم نخطىء النظر حينما جاهرنا بأن الأنظمة الاتحادية الفرنسية وفى بلاد السوفييت وما يجول بخاطر الهندوس من إنشاء دولة اتحادية بالهند ، أنظمة وأسس رجعية تعسفية ، حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، لأنها تمطى للاستغلال الاقتصادى والسيطرة والتحكم ثوباً جديداً .

أحمد رمزى

اللغة العامية والحروف اللاتينية

للأستـــاذ السهمي

ذكرنا حديث الاستاذ البارع (الجاحظ) فى الرسالة (٧٢٦) ص (٦٢٦) عن قصة هذه العامية ذات العمى والبكم والصمم بمقال فائق للعلامة اللغوى الكبير الشيخ ابراهيم اليازجى ترجمته أو عنوانه (اللغة العامية واللغة الفصحى) كتبه سنة (١٩٠٣) مظهراً فيه نيات أبناء (جُنْبُل) الخبيثات المخيفات ومذكراً ومنذراً . وقد رأيت أن أروى فى (رسالة العربية) الهادية الكريمة جملا من ذلك المقال المحقق المحكم وهو أكثر من ثلاثين صفحة. وليعلم من يتجاهل أو يجهل أن الذى نزّل وحفظ قرآنه ، حافظ أبد الأبيد لسانه .

قال الشيخ ابراهيم اليازجى :

« نشر بعضهم من سنوات رسائل متتابعة يدعو فيها علماء العربية وكتابها إلى استبدال اللغة العاميـة من اللغة الفصحى واعتمادها فى الكتب والجرائد وغيرها ورسم لها حروفاً جديدة تكتب بها هى الحروف اللاتينية ... وقد انتهى إلينا بعض ما نشره من تلك الرسائل وفيه أمثلة من حكايات وغيرها باللغة العامية المصرية كتبها بالحروف المذكورة فكانت نوعاً من الكرشونى . (١)

وإذا قرئت جاء لفظها أشبه بلفظ رجل افرنجى يتعلم العربية ولا سيما فى أمر الحركات التى عبر عنها بأحرف المد فاذا نطق بها العربى توهم سامعه أنه يقلد كلام أحد الإفرنج المقيمين فى هذه الديار . وأغرب من ذلك أنه زعم أن تعلم هذه الحروف أسهل تناولا على الأمى من أبناء مصر وأنها أفضل ذريعة لتعميم القراءة فى القطر ... »

« ... على أن الأمر طوى من ذلك الحين ولم يصادف من أحد اهتماماً إلى أن ظهر فى هذه الأيام كتاب ألفه المستر (ولور) أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية على الطريقة المذكورة جمع فيه ما تسنى له من قواعد اللغة العامية المصرية على وجه يقرب من الأجنبى تناولها والتكلم بها ...

« .. ولكن المؤلف وبعض اخوانه ممن علقوا التعاليق وممن قرظوه فى جرائدهم لم يقفوا عنـد هذا الغرض من صنيع المؤلف ولكنهم ذهبوا إلى ما وراء ذلك من وجوب نسخ اللغة الفصحى فى البلاد واحلال اللغة العامية مكانها مع كتابتها بالحرف اللاتينى على مثل ما ذهب إليه صاحب الرسائل القدم ذكرها . »

« ... ويؤخذ من كلام المؤلف وبعض الجرائد الإنكليزية فى القطر الإيماء إلى لزوم ادخال هذه الطريقة فى المدارس أى مدارس الحكومة مع جعل التعليم اجبارياً بحيث أنه لا يمضى زمن قصير حتى يعم استعمالها فى البلاد وتكون الضربة القاضية على اللغة الفصحى وأسفارها ... (١)

« ... ولكن ذلك (الفرق بين العامية والفصحى) وهم دسه على أولئك القوم الجهل بلغة البلاد ؛ لأنهم لو كانوا يعرفون العربيـة كما يعرفها أهلها لعلموا أن معظم الفرق بين اللغتين مقصور فى الغالب على اهمال علامات الإعراب من اللسان العامى بحيث أصبح مسموع اللفظين متبايناً على الجملة . الا أن هذا إنما تتنكر به اللغة فى سماع الأجنبى لا فى سماع أهلها ... ومن أعظم الشواهد على ذلك أن فى العامة من يقرأون ويسمعون الجرائد وكتب الروايات والأقاصيص الحديثة والقديمة من مثل سيرة بنى هلال وعنترة وألف ليلة وليلة وغيرها ويفهمونها ويروونها مع أن جميعها مكتوبة باللغة الفصيحة ... »

قلت : يدل كلام الشيخ ابراهيم على أن العامة فى مصر كانوا يفهمون اللغة الفصيحة سنة (١٩٠٢) فهل تقهقروا ، هل تأخروا هذا التأخر الفظيع فى الفهم والرواية سنة (١٩٤٧) — بعد هذا الدهر الطويل وبعد هاتين الحربين المدهشتين ، وبعد أن تبدلت الأرض غير الأرض والسماوات — حتى تقول رجال الاذاعة فى العامة والمساكين مقولتهم التى أشار إليها الأستاذ الالمى (العباس) فى الرسالة ٧٢٧ ونقدها محسناً ومصيباً .

أيتها الحكومة المصرية ، حرمى حرى فى داريك : دار الاذاعة ودار التمثيل وغيرهما من الدور اللغة العامية ؛ إنك إلا تفعلى تحرجى ... (٢)

« ... وأما مسئلة الكتابة وعدم وجود صور لأصوات الحركات فى رسم الهجاء العربى فما لا يبالى به بالقياس إلى الأمة نفسها إن كان النظر إليها مجرداً ... إن للحركات عندنا مقادير لا تتعداها فاذا رسمت بالحروف كما هو الشأن فى اللغات الأوربية

(١) هو العربى المكتوب بالحرف السريانى (الضياء)

(١) قلت : لقد تفاحشت نياتهم المستقطعة . غمر البحر جزيرتهم ! !

(٢) (إنك إلا تفعلى تحرجى) شطر بيت للعرجى (تحرجين) تأثيم

جاء لفظ الـكلمات منكراً ، وربما التبس بعضها ببعض فلم يبق فرق بين سلم مثلا وسالم وسليم إذ يكون بعد السين ألف وبعد اللام ياء فى الـشكل ، وقد يجىء ما هو أنكر من ذلك كما فى مثل قتل وقاتل لما هناك من الاختلاف الفاحش فى المعنى ، وحينئذ لا يبقى غنى عن وضع علامات تميز الحركة من الحرف فعاد الأمر إلى الشـكل وهو يغنى وحده بدون الحروف . وذلك فضلا عما فى التزام التحريك فى الرسم سواء كان بالحرف العربى أم اللاتينى من إطالة هجاء الـكلمات واقتضاء الـكتابة زمناً أطول إلى ضعف آخر فى الأقل . فجملة ما يقال إن الحركات فى العربية لا تكتب إلا بصورة حركات لأن لفظها ليس لفظ الحروف الـكاملة ولا هى داخلة فى بنية الـكلمات وإنما الغرض الأصلى منها الانتقال من مقطع إلى مقطع ؛ لـكن غاية ما هناك أنه يمـكن استنباط طريقة تمـكن المطالع من وضع الحركات على وجه أسهل ؛ وحينئذ لا يشكل إلا الحرف الذى يمكن التباسه ولو على الأجنبى » .

« بقى أنه على تقدير خروج هذا الرأى إلى الفعل فان ما يتخلص منه الأجنبى يقع فيه الوطنى بل يقع فى أشد مضضاً منه على ما سنذكره . ونعنى بالوطنى هنا المسلم الذى هو العنصر الغالب فى البلاد ، فإنه مع تعليمه قواعد اللغة العامية لا يستغنى عن تعلم اللغة الفصحى لإحـكام قراءة القرآن وتلقى الحديث وفهم نصوص الشرع المبنية عليهما . ولابد لبلوغ هذه المنزلة من قراءة كتب النحو والبيان واللغة وسائر علوم الأدب . وهذه كلها إن لم يتعلمها فى مدارس البلاد لزمه أن يتعلمها فى مدارس أخرى خاصة أو يدرسها فى منزله وكلاهما لا يستطيعه إلا الأغنياء فضلا عما فيه من المشقة وإضاعة الزمن . وكذلك يلزمه أن يتعلم قراءتين احداهما بالحرف العربى لتلاوة القرآن لأنه لا يجوز له أن يكتبه بحرف أجنبى ... والأخرى بالحرف اللاتينى المصطلح عليه فى البلاد لمطالعة ما ينشر فيها من الـكتب والجرائد ولدراسة العلوم العصرية التى يرام كتابتها باللغة والحرف المذكورين [1] على ما أشير إليه فى التأليف [2] ولا تخال التسليم بذلك كله من الأمور المستسهلة . ومن هنا يعلم المؤلف وغيره أن العربية لا تقاس فى ذلك بالطليانية واليونانية إذ ليس فى هاتين اللغتين شىء من الأمر الدينى الذى أشرنا إليه ، بل فيما حدث أخيراً فى أمر ترجمة الأنجيل إلى اليونانية الحديثة عبرة كافية مع انتفاء المحذور الذى ذكرناه. وبقى وراء ذلك كله ما يترتب على هذا الانقلاب من الخسران الجسيم بضياع ما لا يحصى من كتب العلم والتاريخ وغيرها بحيث يتعذر نقل الـكتب بأسرها إلى الحرف الجديد ولا يبقى سبيل للأعقاب إلى تناول ما فيها إذا تغير الحرف الذى يقرأون به » .

« ولذلك فالذى نراه لواضعى هذه الطريقة أن يقتصروا فيها على تعليم الأجنبى لغة البلاد ولا يتجاوزوا إلى ما وراء ذلك من شؤون الأمة فإن محاولة هذا الاحداث فيها ليس فى شىء من الحـكمة ولا هو من الأمور التى يساعدها الامكان »

قلت : قد كان لقوم دنلوب فى أيام الشيخ سلطان فعبر فى الجمل الأخيرة عن مراده بهذا التعبير ، والمقصود متضح ، وفحواه أن الإقدام على هذا الاجرام سيدفع الأمة إلى الثورة . وإنا لنعلن أن من يثورون على أجنبين او أجنبيين وكافرين يريدون سوءاً بلغتهم ، ولغة بلادهم ، ولغة آبائهم وأجدادهم ، ولغة آدابهم ، ولغة علومهم ، ولغة دينهم ، ولغة قرآنهم ، ولغة نبيهم — إن من يثورون على ذلك العدو اللعين سيثورون على عربيين مصريين، وعلى مسلمين مؤمنين ، وعلى أولياء وقديسين ، وعلى من هم فوق الأولياء والقديسين إن أرادوا أن يكيدوا لهذا اللسان المبين كيد الدنلوبيين .

[يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الـكافرون]

صدق (الـكتاب) ومنزله

روى كلام اليازجى عن (ضيائه) : السهمى

جامعـــة فاروق الأول

صحة اسم الوظيفة السابق الاعلان عنها لـكلية الهندسة « أستاذ الإنشاءات الدنية والأساسات » لا المدنية .

٧٤٥٠

---

(١) أى اللغة العامية والحرف اللاتينى.

(٢) يعنى الشيخ كتاب المستر (ولمور) وهو المقصود بقوله (ومن هنا يعلم المؤلف)

الفلاسفة الإسلاميون

بين المعتزلة والأشاعرة

للأستاذ علي مصطفى الغرابي

هذه هي المدارس الثلاث « مدرسة المعتزلة والفلاسفة الإسلاميون والأشاعرة » التي حملت لواء التفكير العقلي للثقافة الإسلامية تحت ظل الإسلام وفي كنفه ، ثلاث مدارس كبرى لها مجهود جبار أخرج لنا هذا الكنز الثمين للثقافة العقلية الإسلامية، وكانت غاية هذه المدارس الثلاث واحدة، وهي الوصول إلى معرفة موجد هذا الكون ، وعلاقة موجده به ، وإلى تعليل وقوع الخير والشر فيه ، وكذا علاقة الانسان بهذا الموجد ، وإلى أي مدى تمتد قدرة الانسان ، وهل للانسان استقلال بأفعاله أو هو مظهر من مظاهر قدرة الله لا غير ، ولا شأن له في نفسه .

هذه هي المشاكل التي تعرضت لها هذه المدارس ، واختلفت حلولها لها تبعا لاختلاف مناهجها في الوصول إلى هذه الغاية . وبمقدار قرب النهج الذي سلكته كل واحدة الوصول إلى غايتها أو بعده من منهج الأخرى كانت أوجه الشبه بينهم قربا وبعداً .

ولأجل أن يكون حكمنا صحيحاً يجب أن نتعرف نشأة كل واحدة باختصار لنكشف عن بيئاتها التي كان لها التأثير على ثقافاتها ، لهذا سنضطر إلى الكلام على نشأة كل واحدة باختصار ولنبدأ أولا بمدرستي المتكلمين لاتصال حياتهما الثقافية اتصالا وثيقاً

نشأة المعتزلة :

في درس الحسن البصري الذي جلس يلقي دروسه الشفوية الجامعة بين أصول الدين وفروعه ، وبين الدين من جانب ، والسياسة من جانب آخر وفي مسجد البصرة ، ومن بين تلامذته ، وفي أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني منه ، نشأت فكرة الاعتزال ، أو بذرت أول بذرة لهذه الدوحة المظيمة التي صارت فيا بعد مدرسة كبرى من مدارس الثقافة الاسلامية

كانت هذه الفكرة في أول أمرها بسيطة ، خلاف قام بين الأستاذ وتلميذه (واصل بن عطاء) على مرتكب الكبيرة من المسلمين حين جاءه رجل يسأل عن شأن مرتكبها — حيث كانت هنالك طائفة تقول « بكفره » وهم الخوارج وأخرى تقول بإيمانه — وهم جمهور المسلمين — وثالثة تركت أمره إلى الله سبحانه ولم تحكم عليه بإيمان ولا كفر ، وقبل أن يجيب الحسن البصري أستاذ واصل والذي كان يسمى صاحب الكبيرة « منافقاً » أجاب واصل بأنه « في منزلة بين المنزلتين » ، فليس بمؤمن ولا كافر ، لأنه لم يجمع كل أجزاء الإيمان حتى يكون مؤمناً ، ولم يفقد كل أجزائه حتى يكون كافراً ، فالأولى أن يسمى (فاسقاً) لا مؤمناً ، ولا كافراً ، ولا منافقاً ، — وسيبقى هذا الرأي أصلا من أصولهم المجمع عليها . وعندئذ قام واصل إلى اسطوانة من مسجد البصرة وأخذ يقرر على بعض زملائه من تلامذة الحسن بعض أفكاره ، ويقال إن الحسن لما رأى منه ذلك قال . « اعتزلنا واصل » فسموا (معتزلة) لهذا ، وهناك آراء أخرى في تعليل اطلاق هذا الاسم عليهم ، في هذا الوقت لم يكن واصل يفكر أن خلافه هذا مع أستاذه سيكون مدرسة من مدارس الاسلام الكبرى وأنه سيتفرع منها مدارس أخرى — على حسب التأثير الذي تأثرت به كل مدرسة من الثقافات الأجنبية المختلفة ، حتى أصبحت طبقات هذه الطائفة (المعتزلة) عشرين طبقة بينها خلاف في بعض الفروع هو أساس تفرقها ، وإن كانوا جميعاً على أصول سنذكرها فيما بعد .

وإذا بحثنا عن منشأ هذه الفكرة — فكرة مرتكب الكبيرة — نجد أن الخلاف السياسي الذي قام بين المسلمين بعد قتل « عثمان رضي الله عنه » هو السبب في وجودها حيث أخذت كل طائفة تخطىء الأخرى معتقدة أن الحق في جانبها ...

إذن كانت مهمة هذه المدرسة في أول نشأتها الدفاع عن رأي سياسي سببه الخلاف بين المسلمين ، ولما مرنت هذه المدرسة — وبعبارة أخرى مرن أصحابها — وآنست من نفسها القدرة عليه ، وعلى الجدل ضد الخصوم — وإن كانوا من طوائف أخرى لا تدين بدين المسلمين — لما مرنت على هذا قامت بواجبها بجانب الجيش الذي يدافع عن هذه الدعوة الإسلامية بالسيف ، ولكن كان دفاع هذه الطائفة بالحجة والدليل ، دخلت أمم كثيرة تحت لواء الإسلام ، وكانت هذه الأمم أصحاب عقائد دينية وثقافات فكرية ولهم شبه : إما نشأت في دينهم الجديد وبقيت معهم بعد إسلامهم ، وإما نشأت من مقارنة دينهم الجديد بدياناتهم التي ورثوها عن أسلافهم . ومن يقوم بالدفاع والإجابة على هذه الشبه ؟ قام بهذا المعتزلة ، وأبلوا في هذا بلاء حسناً ، ولهذا سنجدهم

أصولهم التي لا بد منها لمن يستحق أن يلقب بلقب بـ « معتزلى » (مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) . وأظن أن هذا المبدأ لم تكن له هذه القيمة وهذا الشأن عندهم إلا من وظيفتهم هذه ا ولكن متى يكون الجيش الدافع قويا أمام من يهاجمه ؟

حينما يكون مسلحاً — طبعاً — بسلاح خصمه ، ولقد كان هذا الخصم مزوداً بالفلسفة الأغريقية التي كانت قائمة على الجدل المنطقي المنظم والعقل الحر ، والتي انتفعت بها جميع الأمم على اختلاف أجناسها وعقائدها ، فبينما نجد اليهود — من عهد فيلون — الذي عاش ما بين سنة أربعين قبل الميلاد وأربعين بعده ، قد مزجوا الدين بالفلسفة حتى ادعوا أن الفلسفة الأغريقية والديانة الموسوية من أصل واحد ، إذ بنا نرى الأفلاطونية الحديثة التي بدأت بتاريخ أفلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ م ، تمزجها بالدين المسيحي مزجا ، وإذا بالنساطرة واليعاقبة الذين ورثوا نظريات هذه المدرسة (الأفلاطونية الحديثة) والذين كانوا يقيمون في بلاد فارس والعراق وسوريا حين الفتح الإسلامي ينكبون على دراسة الفلسفة حتى كانوا واسطة في نقلها للمسلمين . وسنتكلم في مقال آخر عن موقف المعتزلة من هذه الفلسفة

على مصطفى الغرابى

أستاذ في الفلسفة وعلم الكلام ومدرس بكلية أصول الدين

منطق الحاجة ...

للأستاذ طاهر محمد أبو فاشا

« عند ما تروج الصناعة ، تدفع السوق رجال الأعمال إلى محاسبة العامل « بالقطعة » فيتجاوز هذا طاقته في سبيل كسب مضاعف يدفع ثمنه من صحته وشبابه :

مؤامرة يدبرها الفقر ، والجهل ... على حساب الصحة العامة ... فليسمع المسئولون » .

ذلك الجهاز الآدمي الذي يدور بقوة الحاجة مجهوداً مكدوداً يوشك أن يعطب حتى يزيته الفقر وتسوطه الحاجة ... فينكفئ على رماد الشباب ، وينطوى على أجر الصحة ، وينبسط على ثمن الرغيف.

في هذا البلد نماذج كثيرة لهذه الأجهزة الآدمية ... نماذج حية لا تؤجر على العمل ، ولكن تحاسب على (الإنتاج) . سخرها الفقر ، وتافه الأجر ، وفساد التدبير ، وعقم التفكير ... حتى أصبح العامل آلة مسحورة مسخرة في هدم شبابه من وجه الأصبوحة إلى فحمة الليل . . فإذا أحس الوهن دافعه بالمنبهات ، وأسكته بالدوافع التي تصرخ في جوفه وبيته وولده ، ويستجيب شبابه لإرادته ، حتى يأتي اليوم الذي يسقط فيه البطل الفريس ، فيستنجد إرادته ، ويستمدى صحته .. فتخذله الصحة ، ويسلمه الشباب ، ويذوى المسكين ، وينكر من أمره ذلك الفتور ، ولكنه يخدع نفسه ، ويتحامل عليها ، ويتملل ، ويتمايا ... وهو ماض في عمله ، يسرف في صبابة من الحرارة بقيت في جسمه المنهوك ، ويعانى لدغات الشك ، وتطارده أشباح الرعب والحرمان !

ويذهب ما بقى من هذا العامل إلى الطبيب ، فيطلب إليه هذا ألا يجهد نفسه !

لا يجهد نفسه ؟ !

يا إلهي : كذا يقال للعامل المصدور ، كأنما بيده أن يستريح وأن يجهد ، وكأنه يستطيع أن يكبت صراخ الجوع الذي تصطك به أمعاء عياله !

وهنا يهاجم الخوف الراعب قلب العامل العليل في عنف وشدة ، فيخاف يومه ، ويرهب غده ، ويعيش في جو من الشك ، وترتفع ثقته بالناس ، ويلح عليه الإلحاد بالأوضاع ، والكفر بالحياة ... ثم لا يجد الميان يده التي تنتج الذهب ، وتنال التراب ... وقد تكون يده مبلولة بشيء من المال ، فتجف بعد قليل ، فينظر إلى ما زاد على الحاجة من ملابسه فيستغنى عنه ، ثم يتعلل بالغنى عن الضروري فيبيعه ، فإذا لم يجد من أخلاقه ما يباع التفت إلى أثاث بيته فتخفف ، ثم باع ما زاد ... ثم ما لم يزد !

صورة أليمة لا نجمع عناصرها من مادة الخيال ، ولكن ننقلها من « خريطة » الواقع : أعرف بضع حالات من هذا النوع في هذا البلد ، وما أعرفه ليس كل ما هو كائن ... فماذا فعل الناس من أجل الناس ، بل ماذا فعلوا من أجل أنفسهم في وقت يثير فيه البيغاوات حروب الأوضاع والأشكال ؟ !

أجيبوا أيها المسلمون الذين يؤدون زكاة الصحة والمال ! !

طاهر محمد أبو فاشا

من وراء المنظار

أنا وكيل نيابة . . !

أعيذ فطنتك أيها القارئ أن تحسبنى ظفرت فجأة بهـذا المنصب الخطير الذى يجمل لى من السلطان أن أقبض على من أشاء فى أى وقت أشاء ، فما كنت وربك إلا صاحب هـذا القلم المتواضع وصاحب هذا المنظار اللعين الذى يأبى إلا أن يقع بى على ما لست أحب ... ولـكنه عنوان اقتضاه المقام

هـذه مواقف ثلاثة من مواقف التحمس ، ولـكنه تحمس رسمى والعياذ بالله ، فيه قبض وتحقيق وحبس ، أو هكذا ظهر لى ولمن شهده من الناس . ولقد سمعت هذه العبارة التى جعلتها عنواناً لـكلمتى هذه بنصها وحروفها فى كل من هاتيك المواقف الثلاثة

شـهدت الموقف الأول وسمعت هذه العبارة وهممت أن أكتب ولـكنى آثرت العافيـة وأنف المنظار فى الرغام ؛ ثم لم يكد يمضى يومان حتى وقع منظارى على الموقف الثانى وسمعت نفس الـكلمة ، فجمعت أطراف شجاعتى ، ولـكنى ما كدت أشرع القلم حتى عدت فآثرت العافية واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ... ويأبى منظارى اللعين إلا أن يرينى الموقف الثالث حيث سمعت العبارة بنصها ، وعندئذ لم يبق لى إلا أن أشهد على نفسى بالجبن أو أكتب ، فآثرت الثانية ، فوالله للضر مع الشجاعة خير من العافية مع الجبن . وما كانت العافية لتدوم يوماً لجبان ...

أما الموقف الأول فكان فى عاصمة إحدى المديريات ، وهناك سيارة عامة كبيرة ، لا يريد سائقها أن يبرح بها مكانها إلا أن تمتلئ بالركاب حسب العدد المقرر ، ولم يكن ينقصه لتمتلئ إلا ثلاثة أو أربعة ؛ وجاء شاب حدث فى نحو الخامسـة والعشرين يخطر فى مشيته خطرة من يريد أن يشعر الناس بعظم مكانتـه ، وكان الوقت موعد الانصراف من الدواوين ، فما أن وضع رجله على سلم السيارة ليركب حتى أهاب بالسائق أن ينطلق بالسيارة ثم أثبت فى وجهه نظرة حادة إذ رأى منه شيئاً من عدم المبالاة ؛ ورد السائق بقوله « حاضر لما يتم العدد » ؛ وثار الشاب وصاح بالسائق : « هيا . اسمع الـكلام » ؛ ولم يزد السائق على أن ينظر إليه متعجباً ؛ ودق الشاب بيده على زجاج السيارة وهو يقول فى تحمس شـديد « أتدرى من يكلمك ؟ أنا وكيل النيابة الـ ... » وقال السائق وقد داخله شىء من الرهبة « يا سيدى حاضر كلها نفرين أو ثلاثة »

ووثب الشاب من مكانه ونادى أحد « الـكنستبلات » وأمره بالقبض على السائق معلناً له وظيفته . وما كان أشد عجب هذا الشاب وعجب الركاب والسائق قبلهم جميعاً بالضرورة حين سمعوا هذا الشرطى يقول « وإيه يعنى وكيل نيابة ! » ... وكأنما سرت هذه الـكلمة عن الناس فانبعثت ضحكاتهم على الفور عالية مجلجلة ...

ونادى الشاب وقد بلغ حنقه غايته أحد العساكر ، وكان هذا يعرفه فأسرع نحوه وحياه التحية العسكرية فأصـدر إليه أمره بالقبض على « الـكونستابل » بتهمة إهانة النيابة وسبقهما إلى مقر التحقيق ونجا السائق المسكين . وهكذا مصائب قوم عند قوم فوائد.

وأما الموقف الثانى فقـد شهدت شاباً كذلك يثب فى أول ميدان باب الخلق فيدرك الترام ويتعلق به ، ثم يقف بباب الحريم لا يتزحزح ولا ينحرف ، يميل طربوشه ويبرز طرف منديله فيتدلى على صدره ، ويضبط ربطة عنقه ويصف شعر فوديه ، ويرسـل النظرات الحادة إلى داخل المـكان ، حتى جاء المحصـل فنبهه فى هدوء إلى ما لا يحمد من وقفته هذه ، فقال فى غضب وعنف وتحمس شـديد « موش شغلك . . أسكت » ؛ ونفخ المحصل فى زمارته متحمساً كذلك فوقف الترام ؛ واشتدت حماسة المحصل واستغنى عن التلميح بالتصريح . وجن جنون ذلك الشاب ونزل وأمسك بذراعه وهو يقول « أتدرى من تكلم .. أنا وكيل نيابة » ... وأخذ المحصل شىء من الخوف إذ أشار هذا الشاب إلى أحد العساكر ليقبض عليه . وتدخل بعض الناس ، وقبل الشاب بعـد لأى شفاعتهم وترك المحصـل قائلا له فى كبرياء الظافر الذى يعفو عن قدرة « أما بارد قليـل الأدب ، صحيح » ... وتعلق المحصـل بالترام وهو يقـول إذ يدق كفاً

قادة الإصلاح في القرن الثالث عشر :

الشيخ شامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

للأستاذ برهان الدين الداغستاني

[تتمة]

ولما أبى الشيخ شامل التسليم اقتحم الروسيون الحصن من الخلف، واستطاعوا التسلل إلى داخله، فانسحب الشيخ شامل إلى مسجد الحصن وواصل القتال. وهنا طلب الروسيون منه التسليم للمرة الثانية، ووعدوه — إن هو سلم نفسه — أن يسلموه هو ومن معه إلى خليفة المسلمين في القسطنطينية من غير أن يصيبهم أذى.

وكان لهذا العرض الأخير فعل السحر في نفوس المجاهدين من إخوان الشيخ شامل، فألانَ من جانبهم، فأخذوا يحبذون التسليم، ويلحون على الشيخ شامل أن لا يفوت هذه الفرصة النادرة، فنزل الشيخ شامل على إرادتهم، وسلم نفسه مع نحو عشرين شخصاً من صادق أعوانه إلى القائد الرومي الجنرال «باريبا تنسكي» كان ذلك في اليوم الثامن من شهر صفر سنة ١٢٧٦ هـ (٦ سبتمبر سنة ١٨٥٩ م).

وبذلك انتهت هذه الثورة الاصلاحية الوطنية التي استمرت أكثر من ثلاثين سنة، ونقل الشيخ شامل ومن معه من أعوانه وأهله وعياله إلى «بترسبورغ» — لينينغراد — عاصمة القياصرة المقدسة، وقابل قيصر الروس إسكندر الثاني، فرحب به القيصر وأكرم وفادته، وأمنه وجميع من كانوا معه على نفوسهم. إلا أنه — على الرغم من الوعد الذي أعطى للشيخ شامل قبل أن يسلم نفسه — لم يسمح له بالسفر إلى خارج الحدود الروسية وألزمه بالإقامة في مدينة «كالوغا» مدة، ثم نقله إلى مدينة «كييف» وظل على هذه الحال نحو عشر سنين.

١٠ — كان الشيخ شامل لا يفتأ يطالب قيصر الروس إسكندر الثاني بانجاز الوعد الذي وعد به قبل أن يسلم نفسه بتسليمه إلى خليفة الإسلام والمسلمين، ولكنه لما طال به الأمد، ولم يجد أذناً صاغية. بعث إلى القيصر يطلب منه أن يسمح له بالسفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وبعد أخذ ورد. قبل القيصر أن يأذن لشامل وأصحابه بالسفر إلى الحجاز عن طريق القسطنطينية.

بكف «أأنا البارد القليل الأدب؟»

ولست أدري أكان (صاحبنا) كما ادعى وكيل نيابة حقاً أم أنه يهوش بذلك على الناس؟

ويأتي بعد ذلك ثالث المواقف أو ثالثة الأثافي؛ فنحن في سيارة عامة في أحد شوارع القاهرة، ليس فيها إلا من هو ذاهب إلى عمل أو حريص على ميعاد. وكان في المقعد الأمامي شاب كذلك تبدو عليه سيماء الهدوء والرزانة فطلب إلى السائق الوقوف بالسيارة لينزل، فقال السائق «ما فيش محطة هنا» فقال الشاب «محطة إيه؟ إسمع. نزلني»؛ ولم يسمع السائق ولم يقف؛ فمسك الشاب على صدره صكة جمع فيها كل تحمسه وأفرغ كل غيظه وهو يقول «اسمتني يا حمار»

ووقف السائق سيارته والتفت نحو الشاب وفي وجهه مثل نظرات الجنون، فقال له الشاب «إوع تتكلم ... أتدرى من أنا؟ أنا وكيل نيابة ... تعرف شغلك بمدين»

ووقف الحصل بينهما يخشى أن يفضي الأمر إلى شر خطير والسائق يقول إفرض انك حتى رئيس نيابة ... تضرب الناس بدون سبب؟» والركاب يتفرجون وما فيهم إلا من ضاق ذرعاً بهذا الصلف وبهذه الوقفة التي لا يدري أحد متى تنتهي؛ وأحسست أنا ثلاثة أمثال ضيقهم وقد شهدت المنظر ثلاث مرات

وكان السائق هو القابض هذه المرة، إذا أنه لم يجد متنفساً لغيظه إلا أن يقسم يميناً بالطلاق ألا يدع هذا الأفندي إلا في القسم ولو قطعت رقبته ... ولم يبق محل لشفاعة الشافعين، بعد أن نطق السائق بهذه اليمين. ومضيا معاً إلى القسم، ومضينا نحن الركاب يبحث كل منا عن وسيلة أخرى يصل بها إلى حيث يريد

وبعد فأنا أؤكد لك أيها القارئ، أني لم أزد شيئاً على ما شاهدت، وإلا فإني مستعد أنا الواضع اسمي أدناه لأن أتلقى قرار القبض على بتهمة أنا والله منها برىء وهي «إساءة استعمال قلمي أو على الأصح منظاري ...

الخفيف

وفى سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م أى بعد عشرة أعوام من تاريخ التسليم خرج الشيخ شامل من الحدود الروسية، وجاء القسطنطينية ولقى من السلطان عبد العزيز خان خليفة المسلمين ما هو جدير به من الإعزاز والتكريم ، ثم واصل سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .

وهناك ما يبعث على الظن بأن الشيخ شاملا عرج — فى طريقه إلى الحجاز — على مصر، وأنه شهد حفلات الخديو إسماعيل التى أقامها بمناسبة افتتاح قناة السويس ، أو شهد بعضها على الأقل ، ولقى من الخديو إسماعيل ترحيباً عظيما ، وتقديراً كبيراً .

وبعد أن وصل إلى الحجاز وأدى فريضة الحج فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ اختار المدينة المنورة للاقامة، واتخذها موطناً لسكناه

ولم تطل إقامته فى مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقد فارق هذه الدار الفانية ، وانتقل إلى جوار ربه ، قبيل غروب شمس يوم الأربعاء ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٢٨٧ هـ (٢٨ مايو سنة ١٨٧٠ م) ودفن فى البقيع بجوار قبة العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم .

١١ — مات الشيخ شامل بعد أن عاش نحو خمسة وسبعين عاماً ، وبعد أن ملأ الدنيا دويا ، ونشر قضية بلاده أمام الرأى العام العالمى ، وجعل العالم كله يتحدث عن القوقاز وقضية القوقازيين، وإذا كان لم يستطع أن يصل ببلاده إلى ما كان يرجوه لها من الاستقلال والتقدم ورغد الحياة ، فإنه بذل كل ما ملك ، ولم يأل جهداً ، ولم يدخر وسعاً حتى انتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً ، ولكن أثر جهاده وتضحياته ظل خالداً، وأثمر ثمره ، فقد تنبه الروسيون لما يعانيه أهل القوقاز من المصاعب والمتاعب وما هم فيه من سوء الحال ، وعلموا أن للقوقازيين وللقوقاز قضية لا بد من النظر إليها بعين الاعتبار .

وقدر الروسيون جهاد شامل وبسالته ، فأنشأوا فى « تفليس » عاصمة القوقاز العامة متحفاً عاماً لآثار القوقاز والقوقازيين وأودعوه كل ما عثروا عليه من آثار الشيخ شامل ، كالأسلحة التى كان يحارب بها والأعلام التى كان يحملها جنوده وقواده ، وبعض الوثائق والمستندات التى تبودلت بينه وبين القيادة الروسية فى القوقاز . وكان هذا المتحف ، فى الجلة ، مشتملا على كل ما وجد من آثار شامل .

وقد زار هذا المتحف ووصفه أحسن وصف سعادة رشاد بك المستشار بالمحاكم الأهلية المصرية قبل الحرب العالمية الماضية فى كتابه « سياحة فى روسيا » الذى نشره مقالات متفرقة فى « المؤيد » ، ثم جمعها فى كتاب .

وبعد الانقلاب الشيوعى فى سنة ١٩١٧ م واستتباب الأمر للشيوعيين ، وجهوا نظرهم إلى القوقاز ، وأنشأوا فيه أربع جمهوريات كان أحد هذه الجمهوريات الأربع جمهورية داغستان . وهى جمهورية ذات استقلال ... ذاتى فى شئونها الداخلية ضمن نطاق اتحاد الجمهوريات السوفيانية العام ، وكان من أهم ما عنيت به هذه الجمهورية الناشئة أن أسست متحفاً خاصاً بالشيخ شامل فى مدينة « محاج قلعة » جمعت فيه كل آثار هذا المجاهد المظيم ، والبطل الوطنى المخلص .

ويرى زائر هذا المتحف الآن أعلاماً بالية عليها كتابات عربية واضحة مثل : « لا إله إلا الله . محمد رسول الله » و « نصر من الله وفتح قريب » وما أشبه هذا مما كان يكتب على أعلام الشيخ شامل. كما يرى الكتب والرسائل التى تبادلها مع الروسيين وهى مكتوبة بالخط العربى واللغة العربية الفصحى .

ويرى إلى جانب ذلك كله قطع الأسلحة ونماذجها المختلفة مما كان يستعمل إبان الثورة الداغستانية التى حمل رايتها الشيخ شامل أكثر من ربع قرن . رحمه الله رحمة واسعة ، وأحسن إليه ، وبل ثراه بفيض من رضوانه .

برهان الدين الداغستانى

ذكريـــــنى

للشـــاعر إبراهيم محمد ناجى

إلى « الواحة » التى فارقتها نزوعا إلى الجنات الوارفات ، والروضات الظليلات ، فلما أخفق مسعاى ، عدت أبحث عنها فى صحراء الحياة ، فما وجدت لها أثراً !

ذكرينى فقــد نسيت حياتى   حين ماتت فى مهدها أمنياتى
وأعيدى لى الغناء ؛ فقد صر   ت حزينا مستغرقا فى شكاتى
إن أتى الليل ، فالسهاد موافٍ   أو بدا الصبح ، فالملال موات
سئمت نفسى الشكاة ، وضجت   من لهيب الحرمان والحسرات
ومشى فى دمى الفناء ودبت   فى حياتى أشباح وادى الممات
أدركينى قبل الممات ؛ فإنى   رغم ما ذقتــه أحب حياتى !

كان قلبى يعيش عيش الحيارى   يقطع العمر هائماً فى الصحارى
ظامئاً يتبع السراب ، فطوراً   يتراءى ، وتارة يتوارى
ظل حيران مقفر العمر حتى   نضّر الله ليلــه والنهارا
فتجليتِ واحة تنضح الظــــل ونبعاً يشفى الصدى والأوارا
فهفا نحوك الفؤاد مشوقاً   كالمحب الغريب وافى الديارا
فإذا فيك كل ما كان يفنى   فيــه أيامه منى وانتظاراً

عاش قلبى لديك عيشاً رغيداً   يتغنى مع الحياة سعيدا
غير أن الملال غشاه يوماً   فاشتهى أن يعيش عيشاً جديدا
وتمنى نهراً كبيراً عميقاً   وسهولاً فسيحة ونجودا
وبساتين يذهب الطرف فيها   أينما شاء لا يلاقى حدودا
فهْوَ ما عاش لا يحس ملالا   أو يرى نفســه تريد المزيدا
هكذا كان الحنين إلى المجــــهول قلبى ألا يطيق القعودا

فمضى يقطع الفضاء الرحيبا   حينما الشمس أوشكت أن تغيبا
فإذا الواحة الحزينة تبكى   ذلك الطائر العزيز الحبيبا
وتناديه فى ابتهال حزين   يجمل القلب موشكا أن يذوبا :
«عد إلى وكرك الحزين المعنَّى   إنه لم يزل أنيقاً رطيبا
كيف ترضى بأن تظل بعيداً   كيف ترضى بأن تعيش غريبا؟
آه قد ضاع فى الفضاء ندائى   أيها الغائب الذى لن يؤوبا »

أين تمضى بموكب الآمال   يا شقيق الأوهام ، يابن الخيال؟
ذهبت حقبة ، ومر زمان   بينما لا تزال رهن الرمال
تارة تهبط الوهاد ، وطوراً   تتسامى إلى متون الجبال
أين تمضى ، وما ظفرت بشىء   بعد طول المسير والترحال ؟ !
هــذه هوة يروح بها اللو   ت ويغدو فى موكب الأهوال!
فانظر الآن كيف ضيعك الشو   ق إلى عالم بعيــد المنال !

أيها القلب قد خدعت خداعاً   حينما همت فى الفيافى انتجاعا
وأضعت الشباب منى هباء   أترى ترجع الشباب المضاعا ؟
وجعلت الأوهام ينهبن عمرى   فغدا ينهبن نهباً مشــاعا !
عجباً ! كيف تترك الماء صفواً   ثم تطوى إلى السراب البقاعا؟؟
كيف تمضى وما ترد نداء ؟ !   كيف تمضى وما تقول وداعا؟!
عد إلى وكرك القديم مشوقاً   قبل أن تمضى الليالى سراعاً

عاد قلبى إلى الوراء حزيناً   يقطع البيد باكياً مستكيناً
وبرد الأوهام عنه فتمضى   ليت قلبى يرد عنه السنينا !
آه ! طال المسير من غير جدوى   فاشتهى القلب أن يعود دفينا
وبدا اليأس فى الرمال يغنى   لحنه الموحش الكئيب الحزينا!
وأظل المساء قلبى ، فما تـــ   ــسمع إلا نواحه والأنينا !
أيها القلب قد تحيرت حتى   صرت يا قلب فى الرمال سجينا!

أنا ما زلت فى ربيع الحياة   كيف أرضى بهذه التضحيات؟!
كيف أحياهنا مع اليأس وحدى   مبعداً عن مطارح الصبوات؟!
كيف أحيا مقيداً بنواحا   تى، وكيف العزاء عن أغنياتى؟!
كيف أسلو التى أظلت حياتى   بظلال من الهوى ساحرات؟!
بين أحضانها وجدت لروحى   مأمنا من مصارع اللهفات
وعلى مهدها استراح شبابى   بعد ما هام فى لهيب الفلاة

أين يا ليل واحتى الخضراء ؟   أين يا ليل ظلها والماء ؟
قد تولى الضياء ، وهو أنيسى   كيف أمضى ، وقد تولى الضياء؟
أتمنى ، فما تفيــد الأمانى !   وأنادى ، فما يفيد النداء !
أسفاً للشباب ماتت لياليـ   ـه، فمات الهوى، ومات الرجاء!
أســـفاً للحياة أمست فناء   قبل أن يدرك الحياة الفناء !
إننى ها هنا سأدفن نفسى   فاسكبى الدمع ، واندبى يا سماء

ابراهيم محمد ناجى

تعقيبات

المسرحية الشعرية بين شوقي وعبد المطلب :

قال الشيخ محمد رجب البيومى فى الترجمة التى نشرها فى عدد سابق من الرسالة لفقيد الشعر والأدب المغفور له الشيخ محمد عبد المطلب : « وأحب أن أكشف عن حقيقة مطموسة ، فالذائع المشهور أن أمير الشعراء هو أول من كتب الروايات المسرحية الشعرية ، فقد أصدر أولى رواياته (كليوباترة) سنة ١٩٢٨ ، ثم أعقبها بعدة روايات مشهورة ، والواقع أن عبد المطلب قد سبقه إلى ذلك بعشرين عاماً ، فقد نظم فى سنة ١٩٠٩ وما بعدها بضع روايات شعرية ذات فصول ومناظر تمثيلية ، وقد جملها متينة الحوار ، سريعة الحركة ، حسنة المفاجأة ، وكلها عربية بدوية ، تتخذ أسماء لامعة فى تاريخنا الأدبى كالمهلهل وامرىء القيس وليلى العفيفة ... فليت الذين يرجفون بجفاف الشاعر وجموده يلتفتون إلى هذه الناحية ثم يحكمون » ...

وأنا أحب أن أقول للشيخ رجب ، إنه قد تجافى عن الحقيقة فيما كتب ، فإن الشيخ عبد المطلب لم يسبق أمير الشعراء فى هذا بعشرين عاماً ولا بعشرين يوماً ، وإن رواية « كليوباترة » التى أخرجها شوقى للناس عام ١٩٢٨ م ليست بأولى رواياته ، بل إن أول رواية مسرحية شعرية أخرجها هى رواية علي بك الكبير ، فقد ألفها وهو طالب فى باريس عام ١٨٩٣ م ، ثم طبعها الطبعة الأولى بعد ذلك بسنوات وهو موظف بالديوان الخديوى ، وسماها يومذاك «رواية علي بك أو فيما هى دولة المماليك» ، ثم أخرج بعد ذلك الرواية التى عرفت فيما بعد برواية قمبيز ، كما ألف عدة روايات شعرية ونثرية لا أذكر اسمها الآن ، وقد كان لشوقى رحمه الله عناية بهذه الناحية القصصية فى صدر حياته ، ثم انصرف عنها إلى القصيد فى فنون الشعر المختلفة ، ثم كان أن رد عليها شيخوخته واستغل فيها المرحلة الأخيرة من حياته مما عرفه الناس عنه ، ولكنهم لم يذكروا فى ذلك جهده الأول .

فشوقى (لاشك) هو أول شاعر عربى مصرى قد راد هذه الناحية أمام الشيخ عبد المطلب وغيره من الشعراء ، وهو لاشك قد تأثر فى هذا بما وقف عليه فى الأدب الفرنسى ، على أنه ليس بأول شاعر عربى قد نحا هذا النحو فى العربية على الإطلاق ، وغاية ما حققته فى ذلك رواية باسم « المروءة والوفاء أو الفرج بعد الضيق لناسج بردها وناظم عقدها الشيخ خليل اليازجى اللبنانى» وهى رواية أتم نظمها سنة ١٨٧٦ م ومثلها سنة ١٨٧٨م وطبعت الطبعة الأولى سنة ١٨٨٤ م ، قال مقدم الرواية : « ... وهى رواية تاريخية تمثيلية شعرية غنائية دل بها على مقدرته فى النظم وسعة معرفته بالأنغام ، وقد اختار موضوعها من أشهر وقائع ملوك العرب فى الجاهلية وأجدرها بالتمثيل . إذ جمعت يوم البؤس والنعيم وظهر فيها الفرج بعد الضيق ، وقد شخص فيها غوائل السكر وقباحة الظلم وإكرام الضيف وكرم الأخلاق عند العرب ومثل فيها المروءة فى قراد الكلبى والوفاء فى حنظلة الطائى والظلم فى النعمان بن ماء السماء وأظهر بعد ذلك فضائل الدين المسيحى فى فرضه الوفاء وحب الأعداء ولو تحت السيف ... »

والحقيقة التى لا مناص من الاعتراف بها هى أن الشيخ خليلاً قد راد أمام شوقى الأخذ بتغيير البحور وتنويع القوافى حسب تنويع الفصول والمناظر ، وهى حسنة يذكرها الباحثون لشوقى ، وإنما صاحب الفضل الأول فيها هو الشيخ خليل اليازجى

وتفكهة للشيخ رجب نقول إن الشيخ اليازجى قد ابتدأ روايته بمقدمة شعرية طويلة عنونها بعنوان « خطبة الرواية » ، وضمنها ذكر الفوائد التى تنطوى عليها الروايات التمثيلية ، وما يجب من الشروط فى تأليفها ، وما ذكره الباحثون فى تقسيمها ، وهى « خطبة » طويلة ابتدأها بقوله :

بحمد الله أخلصت ابتدائى ... ومدح أولى الهدى والأولياء
وبعد فإنما المرآة تبنى ... لوجه المرء إذ هو فى خفاء
وأخلاق الفتى أخفى وجوهاً ... عليه فتلك أحوج للمرائى
فأنشئت الروايات ابتغاء ... لهذا الأمر يا خير ابتغاء
وتلك بطبعها نوعان : إما ... على التاريخ أو ذات ابتداء
فتاريخية تدعى لهذا ... وإنشائية حسب البناء

وإنشائيــة الثنتين أولى بهــذا القصــد من ذات انتماء
لأن بها المؤلف لم يقيــد بتـــاريخ يراعى باقتفاء
وتاريخيــة الثنتين يبغى بهـــا تمثيل حادثه لداء
ويشرط أن يكون بها تدور لموضوع جــدير باعتــناء
وأن تأتى بقبض أو ببسط لنفس الشاهــدين على السواء

إلى آخر ذلك الشعر الذى هو أشبه بشعر المتون

الثقافة المصرية والعنصر المصرى :

وجاء من لندن أن الأستاذ أحمد خاكى وكيل مكتب البعثات أيضاً ألقى محاضرة فى فرع لندن للجمعية الإمبراطورية الملكية تحدث فيها عن المظهر المزدوج للثقافة المصرية فقال : « إن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة مشــتقة من مدنيات كثيرة نهضت فى مصر ، ثم اندثرت بعد أن تركت آثارها فى العادات والتقاليد والفــكر والفن ، وقد تمخضت هذه الثقافة عن نوع من الثقافة اكتسب الروح المصرية برمتها . . ! ! »

ثم تحدث الأستاذ المحاضر عن المصرى المعاصر فقال : « إنه سليل عنصر عريق متغلغل فى عصور ما قبل التاريخ ، ولم تستطع العناصر المتعددة التى احتلت مصر أن تقضى على شىء من مظاهره ولا أن تستأصل حبه لوطنه وكراهيته للغزاة والفاتحين لبلاده ! »

قالت الوكالة البرقية التى عنيت بإذاعة هذا الكلام ، « وقد قوبلت بالضحك ملاحظة أبداها المحاضر وهى أن المصريين استطاعوا أن يمتصوا جميع الأجناس التى جاءت إلى بلادهم ماعدا البريطانيين .. ! ! »

وليس من شــك فى أن الثقافة المصرية مزيج من ثقافات متعددة كما قال الأستاذ خاكى ، وهذه حقيقة أصبحت تصدق على جميع الثقافات فى جميع الأمم ، فالثقافة الإنجليزية ، والثقافة الفرنسية ، والثقافة الإيطالية ، وجميع الثقافات فى مختلف الأمم كلها أمشاج مختلطة . وعندى أن امتزاج الثقافات لا يتحقق بالغزو والفتح فحسب ، بل هو يتحقق أكثر بالرغبة فى المعرفة واللهفة على تحصــيل العلم ، وبالاختلاط لتبادل المنفعة ، ولولا خوف الإطالة لذكرت عشرات الأمثلة التى تؤيد هذا ، على أن هذا ليس موضع النظر ، بل إنى أقصد إلى الكشف عن الحقيقة فيما يعنيه الأســتاذ خاكى بقوله « وقد تمخضت هذه الثقافات عن نوع من الثقافة اكتسبت الروح المصرية برمتها » فماذا يريد بالروح المصرية ؟ إذا كان يريد الروح الفرعونية وهو ما يدل عليه كلامه فإن الأمر ليس كذلك ، وليس يستطيع باحث أن يدلل على مظهر هذه الروح فى ثقافتنا الحاضرة ، والحقيقة أن الشعب المصرى القوى بروحه قد امتص الشعب العربى الفاتح ، ولقد زادت مادة هذا الامتصاص عن طاقته حتى انقلبت شخصيته فإذا هى شخصية إسلامية وإذا به يدين بهذه الروح فى طليعة الشعوب العربية

لقد وقف الشعب المصرى موقف المداوة والمناجزة والنفور من جميع الشعوب التى غزت أرضه واستولت على بلاده . وكانت هذه حاله مع الرومان والفرس والترك والفرنسيين والانجليز إلا مع العرب فإنه لم يلبث أن نظر إليهم نظرة المواطن الأصيل . وسرعان ما اختفت شخصية الشعب المصرى وثقافته تحت شــــدة هذا الاختلاط ، وكان هم مصر أن تجد نفسها فى مقدمة الأمة الإسلامية ، واقتتوات الفتوح الأجنبية لمصر ولــكنه ظل يغالبها بهذه الروح المكتسبة ، وهى الروح التى يجب أن يعتبرها الباحث الروح المصرية وأن تكون مناط الحكم فى هذا المقام . .

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

الموشحات :

نشرت « الراديو المصرى » حديثاً فى الوشحات الأندلسية للدكتورة سهير القلماوى، بينت فيه نشأة فن الوشح فى الأندلس، وتتبعت مراحل تطوره المختلفة ، إلى آخر عهد العرب باسبانيا ، ومما يعد جديداً فى هذا الموضوع ما ذكرته من أثر الموسيقى فى فن التوشيح إذ قالت : « وفى عصر ملوك الطوائف برزت مدينة أندلسية بعنيف أثرها فى الحياة الاجتماعية كلها وفى الناحية الفنية منها خاصة ، تلك هى مدينة أشبيلية بما قد عرف عن أهلها من ميل للفن وما قد شهروا به من إتقان لفن الموسيقى وشغف الشعب كله بها ، وأثرت تلك البيئة المفعمة بالموسيقى فى هذا الفن أبلغ الآثار ، فقد قدمت له فنوناً من التجديد والحياة لم يكن ليعرفها شعر حديث ولا قديم »

وانتقلت بعد ذلك إلى ما نشأ عن هذا التأثر من استئثار الموسيقى بالشعر كما استأثر به فن البديع فى الشرق ، وكلف الوشاحون بالموسيقى حتى أغفلوا المعنى فى سبيلها ، ويبلغ هذا الكلف حد التكلف الذى يميل بالوشح إلى الافتعال والتعسف ليخرج أنغاماً وألحاناً ، ولكن سرعان ما تقوم حركة بين الشعراء لمقاومة هذا التكلف ، فيأخذون من هذا التيار ما قد أتاح لهم من مميزات موسيقية تجد فيها المعانى الشعرية حياة جديدة ، وخاصة فن الغزل الملاءمة طبيعته للموسيقى ، ويزدهر الوشح فى الغزل حيناً ، ولكن قوماً يخرجون به إلى المدح والوصف والهجاء والرثاء وسائر أغراض الشعر ، فيحملونه ما لا يطيق ، ويصل التوشيح بذلك إلى طور آخر من أطوار التكلف ، لأن موسيقاه السهلة اللينة المتجددة تلائم أنواعاً من المعانى دون سواها ؛ ولكن هذه المحاولة تنكشف عن كسب جديد لفن الوشح ، فقد فتحت له آفاق الوصف ووصف الطبيعة بالذات على نحو لم يكن يعرفه الشعر العربى، وإذا هذه الطبيعة المتقلبة الفائرة بالحياة لايلائمها إلا مثل هذا الشعر الفائر القوى بموسيقاه ، وتبدأ حركة شعراء الطبيعة منذ ابن سهل قوية ولكنها تشتد وتزداد على الأيام قوة حتى تصل عند آخر شعراء غرناطة ، عند ابن زمرك ، إلى أقصى درجات قوتها وجودتها »

وتتوالى الأحداث على الدولة العربية بالأندلس فتنتزع منها بقاع يشعر الشعراء بالحنين إليها وإلى عهودهم فيها ، ويمتزج هذا الحنين بالشعور بجمال الطبيعة ، فينفتح باب من الشعر لا يليق به شيء مثل الوشح . وكأن الدكتورة سهير تضيف بذلك موضوعاً للشعر غير الموضوعات المعروفة عند شعراء العرب والتى يقال إن الأندلسيين لم يخرجوا عنها ، وإنما كان تجديدهم فى الوزن والقافية ، ذلك الموضوع هو الحنين إلى الوطن الممتزج بوصف جمال الطبيعة

وأعود إلى ما بدأت به الدكتورة بحثها من الكلام على أولية فن الموشحات : فقد ناقضت ابن خلدون فى نصه على أن المخترع له هو مقدم بن معافر ، وقالت إن الأندلسيين عرفوا قبله تخميس الأبيات فى آخر العصر الأموى وأول عصر ملوك الطوائف الذى عاش فيه المخترع ، ولكنها لم تأت بمثل لذلك تستند إليه مناقضتها ، ولعلها استخلصت ذلك من أقوال بعض المؤلفين ، وقد ذكر ابن بسام فى « الذخيرة » اسماً آخراً لمخترع الموشحات هو محمد بن محمود العمرى الضرير . على أن التخميس لا يلزم أن يكون توشيحاً .

لون من الشعر المصرى :

نشرت « الأهرام » الأبيات التالية للأستاذ محمد الأسمر تحت عنوان « عذراء قنا » :

عذراء من أرض قنا   شريفة المحلة
ألفيتها عريانة   لم تستتر بحلة
قبلتها فقهقهت   ضاحكة من قبلتى
ولم أزل ألثمها   حتى شفيت غلتى
حبيبتى تلك وما   عنيت غير (قلتى)

وهذه الأبيات الظريفة تمثل الروح المصرية الفكهة ، كما

يمثلها قول الشعبيين في (إلقة) أيضاً :

« جايه من الترعة في الضحك والكركرة »

« والبوسة منها حلوة زى السكرة »

وكما مثلها منذ قرون الشعراء المصريون من أمثال البهاء زهير وأبى الحسين الجزار والسراج الوراق ؛ ومما يلاحظ شبه أبيات الأستاذ الأسمر بما كان يقوله الشعراء في تلك العصور في وصف الأشياء التافهة كقول أحدهم في مسبحة :

وسبحة مسودة لونها يحكى سواد القلب والناظر
كأننى عند اشتغالى بها أعـــد أيامك يا هاجرى

ولقد كان بعض المتصدين لتاريخ الأدب يعيبون هذا اللون من الشعر ، لأنه يقال في الأشياء التافهة ، وفاتهم أن كل شيء يصلح موضوعا للأدب مادام موضع حس الأديب ومناط شعوره .

التغزل في القدم:

قرأت في مجلة « آخر ساعة » تحت عنوان « قدم تبتسم » ما يلى :

« تقول فلورا تريستان : لم أر بين الشعراء على كثرتهم من عنى بالتغزل في قدم محبوبته … هذا العضو الذى لولاه ما اندفعت صاحبته إليه . ولكن هناك بيتاً واحداً من الشعر قاله فكتور هوجو في هذا الصدد :

« كانت قدمها تبدو باسمة بالقرب من قدمى »

لقد وجد إذن من تغنى بقدم محبوبته ، ولكن ما أقبح الصورة ! من يتصور قدماً تبتسم ؟ إن نملا فاغراً فاه قد يستطيع أن يتثاءب … ولكن القدم لا تبتسم »

وليست الصورة قبيحة ، لأن الشاعر يريد بابتسام القدم أنها مشرقة ناضرة ، والنعل الفاغرة فاها قد يصح تثاؤبها إذا لوحظ في صورتها التثاقل والتراخى ، لأن مدار الاستعارة على ملابساتها ، ولكن الصورة ، وإن نفيت عنها القبح ، ليست بشيء .

ثم أقول : وكذلك أهمل شعراء العرب التغزل في القدم ، ولم يخطر ذلك ، فيما وقفنا عليه ، إلا لنصيب بن رباح إذ قال :

تخطو على الأرض ، ليت القلب منبسط
تخطو على جانبيه هـذه القدم

إذا مشت تركت أقـــدامها أثراً
فوق الثرى كاد مثل الركن يستلم

وهناك شيء مثل هذا ، في الشغف بالقدم ، ولكنه غزل عملى ، إن صح أن يكون الغزل عملا ؟ ذلك أن المأمون قبل قدم جاريته « عريب » فقالت له : والله يا أمير المؤمنين لولا ما شرفها الله من وضع فمك الكريم عليها لقطعتها . وحلفت ألا تغسل هذه القدم إلا بماء الورد وقالوا إنها برت فظلت حياتها لا تغسلها إلا بماء الورد .

مصطلحات المجمع اللغوى :

يتساءل كثير من الناس عن الكلمات العربية التى يضعها مجمع فؤاد الأول للغة العربية في العلوم والفنون والشئون المختلفة ، ومن هؤلاء المتسائلين من يتهم المجمع بالكسل والتقصير في مهمته ، وقد يكون لهم العذر في ذلك ، لأنهم لا يكادون يرون شيئاً من أعماله وآثاره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم على حق في كل ما يرمون به المجمع ، فهو يعمل وإن كان بطيئاً متوانياً ، فلم تذهب دوراته الماضية عبثاً ، بل أنتج وإن كان نتاجه يجمع إلى القلة العزلة والانزواء .. بدليل أنه لم يصل إلى أولئك المتسائلين لأنه لم ينشر كما يجب أن ينشر ، وخاصة بعد أن توقفت مجلة المجمع عن الظهور من جراء الحرب الماضية ، ولعلها تستأنف الظهور قريباً ، فقد أعدت مواد العدد الخامس ، ويقال إنه قد بدىء بطبعه .

وضع المجمع مصطلحات عربية تزيد على عشرة آلاف مصطلح في الكهربا واللاسلكى ، والاقتصاد السياسى ، والطب والرسم والموسيقى والطبيعة والكيمياء والهندسة والقوانين وعلوم الأحياء وفن العمارة والشئون العامة . وقد استخدم بعض هذه المصطلحات في الكتب المدرسية ، وشاع كثير منها في البلاد العربية حتى إن وزارة العدل العراقية أدخلت مصطلحات القانون المدنى التى وضعها المجمع في قانونها الجديد ، ولذلك طبعت هذه المصطلحات مستقلة في كتيب نشرته في العراق …

أما مدى انتشار هذه المصطلحات في مصر فليس يعدو مجموعة منها (هى ما تم من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩) طبعتها وزارة المعارف وتبيعها لمن يطلبها ، وأكثر الناس لا يعلمون بها ، وليس

هناك من الكتب ما يغرى المكاتب ودور النشر بنشرها .

وهناك مصطلحات وضعتها اللجان الفرعية ولم يقرها المجمع بعد ، وقد رأى أن تعرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختلفة ، وأن تتلقى اللجان ما يرد من الملاحظات عليها ، وخصوصاً المصطلحات التى وضعتها لجنة المصطلحات الطبية بالمجمع فى علوم التشريح ووظائف الأعضاء والأنسجة وأمراض الجلد وغيرها لأن هذه المصطلحات الطبية التى تبلغ نحو أربعة آلاف مصطلح قد لا يتسع وقت المجمع للنظر فيها ، فيكتفى ببحث اللجنة إياها على ضوء ما تتلقاه من ملاحظات الهيئات العلمية ، للوصول إلى اللفظ العلمى الصحيح ؛ وذلك أن المجمع رأى أن تعرض اللجنة عليه المصطلحات الطبية الشائعة التى تتناولها أقلام الكتاب والأدباء ، أما المصطلحات التى تتعلق بالتفصيلات الفنية فإن لم يتسع لها وقت المجمع يكتفى فيها بعمل اللجنة . ولذلك كتبت اللجنة إلى الهيئات العلمية أنها لا ترى مانعاً من أن يستعمل المؤلفون فى كتبهم هذه المصطلحات بشرط أن ينصوا على نسبتها للجنة حتى لا يظن أنها من قرارات المجمع النهائية ...

التربية الفنية :

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف تعد مرسوماً بإنشاء لجنة استشارية للفنون الجميلة ، تختص بإنشاء متاحف الفنون الجميلة والإشراف الفنى على تنظيمها وتنسيق معروضاتها واقتناء الطرف وحفظها وترميمها ، وتنظر فى سياسة تعليم الفنون الجميلة فى مصر وفى الخارج وتعمل على الاشتراك فيها ، وتقدم الإعانات للجمعيات الفنية لتشجيعها ، وتنشئ الجوائز والمكافآت للفنانين ، وتعمل على حماية الآثار والمواقع التاريخية والمناظر الطبيعية والميادين العامة وما يقام فيها من نصب وتماثيل ومنشئات تذكارية ، وتضع الاقتراحات والرغبات المتصلة بوسائل تشجيع رجال الفنون من أبناء البلاد ، وتربية الملكات الفنية وتهذيب الذوق عند الجمهور .

وهذا البرنامج الضخم يتلخص فى كلمتين هما « التربية الفنية » وليس هذا التلخيص للتقليل ، إنما المقصود حصر الفكرة للدلالة على عظم شأنها ، فتربية الشعب ، جمهوراً وتلاميذ مدارس ، تربية فنية قوامها إبراز المواهب وتمهد الملكات وترقية الذوق العام ، ليست بالأمر الهين اليسير الذى تستطيع أن تستقل به اللجنة الزمع إنشاؤها بوزارة المعارف ، بل هو يحتاج إلى جهود أكبر من ذلك ، والمأمول أن تكون هذه اللجنة أولى الخطوات فى هذا الطريق ...

إن هذا الشعب تكمن فيه بذور الفن ، وإننى أعتقد أن الإنسان على العموم فنان بالطبع ، فهو إن لم يكن منتجاً ، متذوق لجمال أى ناحية من نواحى الفنون ، وليس أصلح للناس ولا أنفع لهم من استغلال طبائعهم الفنية فى ترقيتهم وتهذيب نفوسهم ...

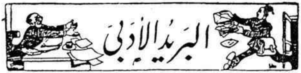
ومما يؤسف له أن الحياة الفنية أصبحت عندنا فى غاية الاضطراب والفوضى ، تكثر فيها العناصر الدخيلة التى يعوزها الاستعداد أو تنقصها الدربة ، ومن وراء ذلك ملكات مقبورة ومواهب مهملة ...

وإذا كانت الدولة تنفق مبلغاً كبيراً من المال فى استقدام الفرق الأجنبية لترقية فن التمثيل وإرضاء أذواق الطبقة المالية ، فإن الطبقات الأخرى من الشعب لأحوج إلى هذه العناية بدلا من أن تتركها فريسة للمتجرين بالفنون ، الهابطين بها فى سبيل الإثراء وجمع الأموال ...

وأظن أنه قد مضى ذلك العهد الذى كنا فيه نجمل الأحياء التى ينزل بها (الخواجات) وتزين الطرق التى يسلكونها ، وندع المواطنين تقذى الأتربة عيونهم ، وتملأ روائح المعفونة أنوفهم ، ويهاجمهم الذباب من كل حدب وصوب . مضى ذلك العهد ولكننا صرنا إلى حال لا يهتم فيها بالأجانب ولا بالمواطنين !

ولا سبيل إلى تهذيب ذوق الجمهور إلا بالنظافة وتعويده على الإحساس بالجمال ، والشعور بجمال المحسَّات طريق إلى إدراك الجمال المعنوى ، وهذه هى غاية التربية الفنية المنشودة ، ومن وسائلها تحقيق برنامج اللجنة الفنية التى تنشئها الآن وزارة المعارف والتى نرجو لها التسديد والتوفيق .

« العباس »



ضمير قلق :

ذلك هو الضمير الثانى الذى نراه اليوم كثيراً فى هذه الجمل (هذه مسئلة لها خطورتها ، وهذا كلام له وزنه ، وهذا فعل له وزره) وما إليها …

فإن الملكية التى تثبتها إضافة الهاء إلى كلمة خطورة ، وكلمة وزن ، وكلمة وزر سبق أن أثبتتها الهاء المجرورة باللام قبل هذه الكلمات ، فاستغنت الجملة بالجار والمجرور عن هذه الإضافة ، التى هى — ولاشك — سقطة سقطها أحد الكتاب المتأخرين فتبعه فيها كثيرون بدون تحرز .

وإلا فماذا ينقص المعنى إذا كتبت الجمل هكذا (هذه مسئلة لها خطورة ، وهذا كلام له وزن ، وهذا فعل له وزر) ؟ ؟

لم ينقص المعنى شيء . وما الضمير الثانى المضاف إلا ضميراً قلقاً نابياً ، لا أحسبه عرض لى فى كلام عربى قديم . إلا أن يكون قد عرض لغيرى من القراء الأجلاء فيتفضل بالإرشاد .

محمود عمار

السيد عدنان يجيب :

ما نظن السيد عدنان أسعد يقصد الجد بهذه المجادلة العروضية ، فقد طلبنا منه فى العدد الماضى من الرسالة أن يأتينا بشاهد واحد من الشعر الجاهلى أو الإسلامى على أن الكف يدخل الوافر وحده أو مع العصب ، فماذا صنع ؟ أعياه أن يقع على هذا الشاهد الواحد فى دواوين الشعر الجاهلى والإسلامى فعمد إلى كتب العروض فالتقط منها الشاهد الواحد الذى افتعلوه حين أعجزهم أن يجدوه ، وافتعال الشعر فى شواهد النحو واللغة والعروض معروف ، وجاء به فرحاً يقول : « أكتفى بإيراد شاهدين اثنين لا شاهد واحد — وإن توفرت لدينا الشواهد (!) — أما الشاهد الأول فقد قال الشاعر العربى (؟) :

لسلامة دارٌ بحفير كباقى الخلق السحق قفار

فمن هذا الشاعر العربى ياسيد عدنان ؟ وفى أى عصر كان ؟ وما بقية قصيدته التى منها هذا البيت ؟ وما ميزة هذا البيت على ما (توفر لديك من الشواهد) حتى تشرفه بهذا الاختيار ؟

وأما الشاهد الثانى فلم يأت به لا من الشعر الجاهلى ، ولا من الشعر الإسلامى ، ولا من الشعر العباسى ، وإنما أتى به من الشعر المصرى ، وهو الذى يخلط فيه أهله بين الهزج ومجزوء الوافر ، وكان التنبيه عليه مثار هذه المناقشة !!

بمثل هذا الجدل يا سيد عدنان ، لا يظهر حق ولا ينحسم خلاف …

أمس بين الإعراب والبناء :

جاءتنا كلمة من بغداد بإمضاء (محمود شبلى أحمد مدرس اللغة العربية) يقول فيها :

« نشرتم فى الرسالة الغراء عدد ٧٢ فى مقالتكم الافتتاحية فى السطر الثامن العبارة الآتية : (ولا أمسٌ ولا غدٌ) ولكن ليعلم أستاذنا الجليل ، أن أمس هى ظرف زمان مبنى على الكسر ، هذا ما ذهب إليه أكثر النحاة … وأن معنى كلمة أمس هذه تدل على البارحة . أما إذا دخلت عليها أل التعريف ، فإنها تدل على ما قبل البارحة ، أى على الماضى سواء البعيد أم القريب ، على شرط ألا ينسحب معناها إلى البارحة . وما يؤلمنى أن ذلك كيف كان عليكم خافياً وحضرتكم أحد أعلام اللغة العربية فى القرن العاشرين … » .

نقلنا كلام الأستاذ المدرس بنصه ورسمه لنطمئن حماة العربية على أنها لا تزال والحمد لله بخير ! وبحسبنا أن ننقل للأستاذ المدرس ما يعرفه الدرسون جميعاً من حكم أمس : أمس ظرف زمان ؛ فإذا أريد به اليوم الذى قبل يومك بليلة بنى على الكسر ؛ وإذا أريد يوم من الأيام الماضية ، أو كُسِّر ، أو صُغِّر ، أو دخلته ال ، أو أضيف ، أعرب بإجماع . تقول آماسٌ ، وأميسٌ ، وليس للمجنون أمسٌ ولا غد ، وأمسُ العرب خير من يومهم

إلى الأستاذ على الطنطاوى :

هالتك ياسيدى الفاضل حالة مصر الاجتماعية فأرسلت إنذارك مدوياً كالصاعقة مزمجراً كالإعصار ؛ هالك ياسيدى هذا التفاوت

الـكبير بين البشر فى مصر فى نظرة عامة، فكيف بك لو عرفت تفاصيل الجزئيات فى قرى الدوائر الزراعية الـكبرى فى بلادنا ؟ إن كل قرية من هذه القرى تـكافح الآن دودة القطن بأبنائها وبناتها بين لفح الهجير والهاب (الحولى) بعصاه الغليظة لأجسامهم المهزولة المرهقة …

أتدرى لحساب من كل هذا العذاب ؟ إنه لحساب رجل واحد يملك القرية بقضها وقضيضها ويصيف خارج البلاد دون أن يترك فى قريته أثراً اجتماعياً يعود بالنفع على من يجوعون ليشبع ويعذبون لينعم ! فتابع نذرك يا سيدى لعلهم يتعظون ويعتبرون …

خورشيد عبد العزيز

(الرسالة) : جاءتنا كلمات كثيرة بهذا المعنى فاكتفينا بهذه الـكلمة

إصلاح بيتين لأبي العلاء :

فى العدد ٧٢٨ نشرت الرسالة مقالا للأديبة الفاضلة السيدة منيبة الـكيلانى عنوانه : بين أدب المرأة والرجل ؛ ولقد راقنى هذا المقال فتتبعته ، فعثرت فيه على بيتين من الشعر لأبى العلاء المعرى يحتاجان إلى إصلاح : أولهما يحتاج إلى كلمة تتمم نقصه . والثانى به زيادة يجب حذفها ؛ لأن النظم من الخفيف ، ولإصلاحها يكونان هكذا :

علموهن الغزل ، والنسج ، والرد ن ، وخلوا كتابة ، وقراءه !
فصلاة الفتاة بالحمد ، والإخ لاص تجزى عن يونس وبراءه

وبالرجوع إلى هذا العدد يتبين للسيدة الفاضلة صحة ما قلنا ، وللرسالة الغراء وافر شكرى .

محمد غنيم

الى الأستاذ جميل :

قرأنا ملاحظتكم المنشورة بأحد أعداد « الرسالة » الغراء عن الأبيات المنسوبة إلى سيف الدولة إذ حققتم أنها لابن الرومى كما هو مثبت بديوانه …

ولـكن فى قول ابن خلكان فى الجزء الأول من الوفيات ما يلفت النظر ، إذ نسب الأبيات إلى سيف الدولة الحمدانى فى ترجمته له ، وقال أيضاً ما صورته : —

(وقيل إن هذه الأبيات لأبى الصقر القبيصى ، والأول ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر … وهذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة) .

فما رأى الأستاذ فى هذه الرواية ؟؟

(مكة) عبد المغنى قستى

تاريخ النوبة :

يسأل أحد القراء عن كتاب فى تاريخ النوبة ، ونحن نعرف أن للأستاذ محمد كامل حته كتاباً عنوانه (صفحات مطوية من تاريخ النوبة) وهو بالطبع أدرى بمراجع كتابه ، فليتفضل بإجابة السائل مشكوراً .



هل كان حلماً ؟

للشاعر الفرنسي جى دو موباسان

بقلم الأديب جمال الدين الحجازى

لقد أحببتها بجنون ، وما أدرى لماذا يحب الإنسان؟ وما أغرب أن ترى شخصاً واحداً فى الحياة يملك عليك مشاعرك ، واسماً واحداً فى الحياة تردده شفتاك ، اسماً يتردد باستمرار ويصعد من أعماق النفس إلى الشفاه ، اسماً يردده المرء كثيراً ويتمتم به فى كل مكان كالصلاة !

وسأقص عليك قصتنا :

لقد قابلتها وأحببتها ، وهذا كل ما حصل . وكنت طوال العام أحيا بين أعطافها وأتمتع بدلالها ورقتها ، ولم أعبأ آنذاك أكنت فى نهار أم ليل ، أكنت حياً أم ميتاً فى هذه الحياة ...

ثم ماتت . كيف ؟ ذلك مالم أدرك كنهه ولم أعرف عنه شيئاً ولكنى أذكر أنها أتت إلى البيت ذات مساء فى ليلة اشتد مطرها وهى تقطر ماء ، فأصابها البرد فى اليوم التالى ولزمت الفراش أسبوعاً ...

أما ماذا حصل فلا أذكره الآن ! وكل ما أذكره أن الأطباء كانوا يجيئون ويصفون لها العلاج الذى لم تقو على تجرعه إلا بمعونة صويحباتها . كانت يداها ساخنتين ووجهها تكاد تتقد من الحرارة ونظراتها حزينة ساهمة ، ولما تكلمت معها أجابتنى ، غير أنى لا أذكر ما تحدثنا به ، لقد نسيت كل شىء ، أجل كل شىء . ثم ماتت ، وإنى لأذكر تماماً نظراتها الساجية وأتذكر قول الممرضة « آه » وعندها فهمت كل شىء . . ولا أعرف شيئاً آخر سوى قول القس لى : أسيدتك ! فظهر لى كأنه أهانها ، وجاءنى آخر وكان لطيفاً رقيق القلب وحدثنى عنها فذرفت الدمع حزناً ...

وعندما رأيت صويحباتها يسرن مع الجنازة ، وليت الأدبار ، وسرت فى الشوارع شارد الذهن ، وفى اليوم التالى ذهبت إلى باريس . ولما رأيت غرفتى هناك ، ورأيت فراشنا وأثاثنا وكل ما تبقى من الأشياء بعد موتها ، وجدتنى غارقاً فى بحر من الأحزان ، فهممت أن أفتح النافذة وألقى بنفسى منها إلى الشارع إذ لم أستطع البقاء طويلا بين هذه الأشياء التى تذكرنى بها ، وبين هذه الجدران الأربعة التى ضمتها فى يوم من الأيام ... ولما توالت على هذه الذكريات تناولت قبعتى وسرت . وعندما وصلت إلى الباب ومررت بالمرآة الكبيرة المعلقة فى القاعة تذكرتها عندما كانت تقف أمامها للتزين ...

وقفت قليلا أمام المرآة مرتجفا وقد تسمرت عيناى فى زجاجها ، ولما لمستها وجدتها باردة ، وقد أظلم زجاجها فعاد لا يعكس .. أتراه أظلم لفقد صاحبته ! ما أسعد الرجل الذى يستطيع أن ينسى كل شىء عز حوله .. آه كم أقاسى ...

خرجت من منزلى ولم أدر إلى أين ؟ ولم أشعر إلا بقدمى تقودانني إلى المقبرة ! وهناك وجدت قبراً عادياً عليه صليب رخامى أبيض ووجدت هذه الكلمات محفورة عليه :

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » إنها فى القبر ! وألقيت بصرى على الأرض وبقيت على هذه الحالة مدة طويلة إلى أن خيم الظلام على المكان . ورغبت فى أن أقضى الليل باكياً بجوار قبرها ولكننى خشيت أن أرى فأطرد من المقبرة ، فما العمل ؟ آه إننى لداهية ! لقد أخذت بالتجوال حول مدينة الموتى . سرت هنا وهناك . يا إلهى ما أصغر هذه المدينة إذا قورنت بمدينتنا الأخرى التى نحيا بها ! ومع ذلك فكم يزيد الموتى عن الأحياء ! إننا نقتنى القصور الفخمة فى دنيانا ، ونشرب الماء الصافى من الينابيع ، ونمتع أنفسنا بشرب الخمور المعتقة ولكن الموت يزيل هذا كله ! وتضمنا الأرض فى جوفها ويصيبنا العدم ! !

وفى آخر المقبرة وجدت قبوراً قديمة يدل شكلها على أن الموتى بها قد ماتوا منذ عهد طويل لالتصاق قبورهم بالأرض ، وقد تداعت الصلبان ...

وكنت وحيداً فاستلقيت تحت شجرة خضراء ، وأخفيت نفسى بين فروعها الغليظة ، وهناك انتظرت طويلا كربان تحطمت سفينته ...

لما اشتدت حلكة الظلام ، قمت وسرت بهدوء تام فى أرض الموتى وتجولت مدة طويلة ولكننى لم أهتد إلى قبرها ... فسرت ماداً ذراعى ناظراً إلى القبور ، متحسساً بيدى ولكن

دون جدوى لقد تحسست الحجارة والصلبان ، وقرأت الأسماء بأصابعي بتمريرها على الحروف فلم أعثر على قبرها ...

ولم تكن الليلة مقمرة ، وكنت خائفاً جداً ، إذ وجدتني بين صفين من القبور .. قبور في كل مكان ، ولا شيء غير القبور ! جلست على أحدها متهالكا إذ لم أستطع السير أكثر من ذلك ولأن ساق لم تقويا على حملي فكنت أسمع دقات قلبي وسمعت صوتاً آخر ، ماذا ؟! إن الصوت غامض غير واضح ، أتراه صوت نفسي في هذا الليل البهيم ! تلفت حولي ولم أدر كم بقيت على هذه الحالة فتملكني رعب شديد وأحسست كأنني متأهب للموت .

وفجأة أحسست بأن حجر الرخام الذي كنت جالساً عليه يتحرك !! أجل كان يتحرك ويرتفع ، وقد هالني ما رأيت ، فقفزت إلى قبر آخر ... وعندها رأيت الحجر الذي كنت جالساً عليه في القبر يرتفع ويظهر منه الميت عارياً وقد رفع الحجارة بظهره ! لقد رأيته بوضوح وتمكنت من قراءة هذه الكلمات :

هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذي توفي عن خمسة وخمسين عاماً . لقد أحب عائلته وكان محسناً شريفاً ومات ... رحمه الله ...

قرأ الميت ما كتب على قبره ، فأخذ حجراً مدبباً من الأرض وأخذ يحك به الأحرف المكتوبة على قبره بعناية وكتب بدلا منها بعظمة كان يحملها بين أصابعه بأحرف مضيئة لامعة ، كتلك التي يكتبها الأولاد على الجدران برؤوس عيدان الثقاب :

« هنا يرقد جاكوس أوليفانت الذي توفي عن خمسة وخمسين عاماً ، لقد تعجل موت أبيه لأنه طمع في ثروته ، وعذب زوجته وأولاده ، وغش جيرانه ، وسرق كل شيء استطاع سرقته ، ومات بائساً » .

ولما أتم كتابته وقف ثابتاً لا يتحرك وهو ينظر إلى عمله وتلفت حولي فوجدت جميع القبور مفتوحة وقد خرج منها جميع الموتى وأزال كل منهم تلك الأكاذيب التي خطها أقاربه على قبره واستبدلها بالصدق والحقيقة !

كان هؤلاء الموتى يعذبون الناس في حياتهم ، ويأكل الحقد قلوبهم ، ويسرقون ويغشون ويرتكبون كل خطيئة ... هؤلاء الآباء الطيبون ، هؤلاء الزوجات المخلصات ، هؤلاء الفتيات المفيفات ، كل أولئك كان يكتب على قبره في وقت واحد الحقيقة ... الحقيقة المفزعة التي كان يجهلها أو يتجاهلها كل إنسان حينما كانوا في حياتهم الدنيا ...

وقد اعتقدت بأنها هي الأخرى لا بد أن تكون قد كتبت شيئاً على واجهة قبرها . فسرت بين صفين من القبور المفتوحة إلى قبرها غير خائف ، تأكدت من وجودها وعرفتها حالا . وعلى الصليب الرخامي الذي كان مكتوباً عليه قبل قليل .

« لقد أحبت وكانت محبوبة وماتت » .

رأيت مكتوباً بدلها :

« بينما كانت ذاهبة في يوم ماطر لتخون حبيبها ، أصابها البرد فماتت » .

... وعند مطلع الفجر وجدت ملقى على القبر لا حراك بي .

(القدس) جمال الدين الحجازي
الندوة الأدبية

مطبعة الرسالة